**تنبيه** تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، فالمرجو صيانتها عن أي امتهان

# مراكز الدراسات والأبحاث.. ودورها في صناعة القرار السياسي

ص 9

المدير المؤسس
المفضل فلواتي رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

4 دراهم

# المحجة

نصف شهرية جامعة

AlmahajjaJournal | almahajjafes@gmail.com | www.almahajjafes.net

المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج | 12 ذو القعدة 1439هـ الموافق لـ 26 يوليوز 2018م | العدد: 492


قـــال
رسول الله ﷺ:
«كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى،
قيل يا رسول الله، ومن يأبى؟
قال: من أطاعني دخل الجنة،
ومن عصاني فقد أبى».
صحيح البخاري

افتتاحية

## العمل الجماعي روح الأمة وسبيل نهضتها

لا تولد أمة من الأمم إلا يوم يجتمع أفرادها على أمر جامع، يجمع أمرها ويوحد صفها، ويقوي لحمتها، ويدفع عنها ما يوهنها ويضعفها. وإن الله تعالى جعل لهذه الأمة أمرها الجامع في الاتباع الفردي والجماعي لدينه وإقامة أركانه والاستقامة الجماعية عليه... قال ﷻ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (آل عمران: 103) وقال رسول الله ﷺ: «تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما ما تمسكتم بهما؛ كتابَ الله وسنتي» (موطأ مالك).

ولم تستمر هذه الأمة في ماضيها -ولن تستمر في حاضرها- قوية في عطائها إلا بقوة إخائها وتلاحم أجزاء بنائها، وتناصر أبنائها، وتعاون عامتها وخاصتها، وتآزر أغنيائها وفقرائها، وتكامل جهود علمائها وأمرائها، وتضمانها الجماعي في المسرات والمضرات، وتفاني الجميع من أجل الجميع، وتناصح الكل بالاعتصام بالأصول الجامعة العاصمة من الفتن القاصمة.

ولا تزال سنن الله تعالى في الاجتماع البشري شاهدة بأن اجتماع الناس قوة، ووحدتهم خير، وتفرقهم ضعف وشر، وأن الأعمال ذات النفع العام والأصول الكلية تصونها العقول النيرة بالاتفاق عليها والتعاون على تمهيد سبلها وتحقيق غاياتها وجلب منافعها ومكرماتها. وكم أصيبت الأمة اليوم بفشل مشاريعها الكبرى ومصالحها العليا حين ضعفت فيها روح العمل الجماعي وتقاعست النفوس عن التنافس في ذلك والإبداع فيه.

فتعالوا بنا ننظر تشريعات ربنا وتكليفاته لعباده كيف جاءت بصيغة الجمع، وبمقصد الاجتماع وحفظ روح الجماعة:

فهذه أصول الدين وأركانه دعا الإسلام إليها بخطاب الجمع "يا أيها الناس"، "يا أيها الذين آمنوا" وأمر بالاعتصام الجماعي بها فقال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ وقال جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ (البقرة: 208) وأمرنا جميعا أن نعبد إلها واحدا ونؤم قبلة واحدة موحَّدة وموحِّدة...

والصلاة وإن كانت واجبا عينيا إلا أن الخطاب بأدائها وإقامتها ورد بصيغة الجمع وفي الجماعة خمس مرات في اليوم ومرة في الأسبوع (الجمعة) وفي العيدين...

وهذه فريضة الصيام وإن كانت شعيرة فردية وباطنية إلا أن لها وقتا معلوما وتؤدى جماعة في شهر واحد ووقت إفطار واحد وعيد واحد...

وهذه فريضة الحج تؤدى في وقت واحد ومكان واحد وينفر الناس لها زرافات ووحدانا ويطوفون حول قبلة واحدة ويسعون ويلبون ويرمون الجمرات في صورة جماعية بديعة...

وهذه فريضة الزكاة شُرعت حقا للفقراء غايتها سد خلة الضعفاء وتقوية أصرة الإخاء بين الفقراء والأغنياء ودفع مفاسد الكراهية والحسد والبغضاء...

وهذه فريضة الجهاد لا تصح ولا تثمر إلا إذا اجتمعت الأبدان وائتلفت القلوب وتراصت الصفوف.

وهذه أعمال الخير من البناء والعمران والكسب في المعايش دعا الشرع إلى التعاون فيها والاجتماع عليها في الأفراح والأتراح، وأبدعت الأمة صورا عديدة ونماذج مجيدة في التكافل والتعاون والتناصر وتوحيد الجهود.

وهكذا فإن معظم مشاريع نهوض الأمة كانت -ولا تزال- تحتاج إلى العمل الجماعي وتكتل المجموع من تشاور الحكماء وتكاتف الجهود، وتعاضد السواعد، وتناسق الأجهزة وتكامل الوظائف. وحين تشيع ثقافة العمل الجماعي وتتشبع النفوس بروح التضامن والتكامل والتعاون -آنذاك وآنذاك فقط- ستنطلق الأمة انطلاقة سليمة وكريمة، ستتخلص من ثقل ديونها الطارفة والتليدة، وأغلال التبعية المهينة لغيرها، وستسرع في حركة سيرها ويرشُدُ تدبير أمرها.

وإن الأمة الإسلامية اليوم محتاجة أشد ما تكون الحاجة إلى ثقافة العمل الجماعي في جميع المجالات والقطاعات والمستويات، ومحتاجة إلى إعادة تربية أبنائها على روح التعاون والتشاور والتكامل وإحياء النماذج الناجحة في التجربة التاريخية للأمة وتطويرها بحسب ما استجد من الفهوم والوسائل والإمكانات والتقنيات.

وهكذا فإن العمل الجماعي مطلوب في مجالات الحياة كلها وعلى رأسها:

التتمة في الصفحة: 2

## مصطلح القسط في القرآن الكريم

ص 2

## القرآن الكريم وشروط السلامة في السير

ص 5

## اغتنام الأوقات مِن أسباب الرقي

ص 3

## تجليات الحكمة في وصايا لقمان لابنه

ص 11

## الواقع الدولي المعاصر خصائصه ومكوناته وتأثيراته

ص 8

## إلى اللقاء في شتنبر

# مصطلح القسط في القرآن الكريم

دة. كلثومة دخوش

القسط في اللغة العدل، والقَسط والقسوط الجور، وقد ورد الاستعمالان من المادة في القرآن الكريم، حيث ورد من الاستعمال الثاني لفظ (القاسطون) مرتين في سورة الجن، في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ (14-15).

أما القسط بمعنى العدل فقد ورد ثلاثا وعشرين مرة مصدرا وفعلا واسم فاعل واسم تفضيل، إضافة إلى ورود لفظ القسطاس مرتين، وقرئ القُسطاس والقِسطاس بضم القاف وكسرها، وقد فسر بالميزان، وقد أدرجه بعض المفسرين، ممن يقول باشتمال القرآن الكريم على كلمات غير عربية، ضمن الكلمات الأعجمية الواردة في القرآن الكريم، بينما اعتبره فريق آخر لفظا عربيا مأخوذا من القسط، بالنظر إلى أن لفظ القسطاس الذي هو الميزان الغرض منه هو إقامة العدل في الوزن.

والفرق بين الاستعمالين المتضادين من المادة، يظهر في وزن الكلمة منهما، حيث أخذ الاستعمال الأول من الفعل الرباعي، بينما أخذ الاستعمال الثاني من الفعل الثلاثي، وفسر ابن منظور الفرق بين الاستعمالين بقوله: "يقال أَقْسَطَ يُقْسِطُ فهو مُقْسِطٌ إذا عدل وقَسَطَ يَقْسِطُ فهو قاسِطٌ إذا جارَ فكأن الهمزة في أَقْسَطَ للسَّلْب".

غير أنه ذكر أنه قد يستعمل فعل (قسط) أيضا بمعنى عدل، وبذلك يستعمل بمعنى عدل قسط وأقسط، إلا أن الجور لا يأتي إلا باستعمال واحد هو فعل قسط، قال: "ففي العدل لغتان قَسَطَ وأَقْسَطَ وفي الجَوْر لغة واحدة قَسَطَ بغير الألف ومصدره القُسُوطُ".

وجاء في مقاييس اللغة: "الْقَافُ وَالسِّينُ وَالطَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مَعْنَيَيْنِ مُتَضَادَّيْنِ وَالْبِنَاءُ وَاحِدٌ. فَالْقِسْطُ: الْعَدْلُ. وَيُقَالُ مِنْهُ أَقْسَطَ يُقْسِطُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾... وَالْقَسْطُ بِفَتْحِ الْقَافِ: الْجَوْرُ. وَالْقُسُوطُ: الْعُدُولُ عَنِ الْحَقِّ. يُقَالُ قَسَطَ، إِذَا جَارَ، يَقْسِطُ قَسْطًا".

واختلاف الصيغة ينفي أن يكون لفظ القسط من الأضداد، على الأقل في القرآن الكريم الذي استعمل المعنيين المتضادين بصيغتين مختلفتين.

يؤخذ مما سبق أن القَسط بفتح القاف، والقسوط مصدران لفعل قسط الدال على الجور، واسم الفاعل منه القاسط وجمعه القاسطون، بينما القسط هو مصدر أقسط بمعنى عدل، واسم الفاعل منه مقسط وجمعه المقسطون.

ومن استعمالات المادة في اللغة العربية القسط بمعنى النصيب، والقُسط بضم القاف بمعنى شيء كان يتبخر به، قال ابن فارس في مقاييس اللغة ذاكرا مختلف الاستعمالات للمادة: "وَمِنَ الْبَابِ الْأَوَّلِ الْقِسْطُ: النَّصِيبُ، وَتَقَسَّطْنَا الشَّيْءَ بَيْنَنَا. وَالْقُسْطَاسُ: الْمِيزَانُ. قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ (الإسراء: 35). وَمِمَّا لَيْسَ مِنْ هَذَا، الْقُسْطُ: شَيْءٌ يُتَبَخَّرُ بِهِ، عَرَبِيٌّ".

وعلاقة القسط بكل من العدل والنصيب، نستخلصها من كلام السمين الحلبي في عمدة الحفاظ عند حديثه عن القسط، إذ يشبهها بالعلاقة بين النصف والنصفة، أي الإنصاف، قال: " القسط: العدل: وقيل: النصيب بالعدل كالنصف والنصفة. والقسط -بالفتح- هو أن يأخذ قسط غيره، وهذا جور. والإقساط: أن يعطي قسط غيره، وذلك إنصاف؛ قال الراغب: ولذلك يقال: قسط الرجل: إذا جار. وأقسط: إذا عدل".

وبالعودة إلى القرآن الكريم، فقد ورد مصطلح القسط، كما سبق، سبعا وعشرين مرة منها مرتان بلفظ القسطاس، ومرتين بمعنى القسوط الذي هو بمعنى الجور، والباقي بمعنى القسط أي العدل.

وقد اختصت سورة الجن بلفظ القاسطين بمعنى الجائرين عن الحق، أو الكافرين كما جاء في كتب التفسير، قال البغوي في تفسيره للآيتين: "(وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ) الْجَائِرُونَ الْعَادِلُونَ عَنِ الْحَقِّ. قَالَ ابْنُ عَبَّاس: هُمُ الَّذِينَ جَعَلُوا لِلَّهِ نِدًّا، يُقَالُ: أَقْسَطَ الرَّجُلُ إِذَا عدل فهو مقسط، وَقسطٌ إِذَا جَارَ فَهُوَ قَاسِطٌ".

بينما ورد القسطاس مرتبطا بالوزن في مورديه معا، فقد قال الله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (34 – 35).

وقال عز من قائل في سورة الشعراء: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ (181 – 182).

أما القسط بمعنى العدل فقد جاء مصدرا في مثل قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران: 18)، وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: 9)، وقوله عز من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء: 134).

كما ورد بصيغة الفعل في مثل قوله ﷻ: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ المتحنة 8.

والملاحظ أنه حيثما أمر الله بالقسط، يختم الآية ببيان حبه سبحانه للمقسطين بقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾، إذ وردت صيغة الجمع من اسم الفاعل (المقسطون) ثلاث مرات كلها بهذا المعنى، وهي قوله سبحانه وتعالى:

- ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (المائدة: 44).

- ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الحجرات: 9).

- ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة: 8).

وإذا تتبعنا هذه الصيغة (إن الله يحب) و (والله يحب) في القرآن الكريم نجدها متعلقة في القرآن كله بثمانية أصناف من الناس من ضمنهم المقسطين، حيث ورد أن الله يحب المحسنين والمتقين والتوابين والمتطهرين والمتوكلين والصابرين والذين يقاتلون في سبيل الله صفا، إضافة إلى المقسطين.

ولا تخفى عظمة هذه الصفات التي يحب الله تعالى المتصفين بها، إذ هي كلها صفات دالة على درجات من الترقي في الإيمان، ولا يحصلها إلا المسلم الذي قوي تعلقه بالله تعالى، واستشعر عظمته سبحانه فكان محسنا توابا متطهرا متوكلا على الله وحده صابرا لأحكامه وأقداره، وهو مع ذلك مقسط في نفسه وأهله وما تحت يده، والقسط له مكانته من هذه الصفات بالنظر إلى صعوبة التحقق والتخلق به، ولذلك، ولا عجب، أن يحب الله المقسطين ويتفضل عليهم بمكانة خاصة يوم القيامة كما ورد في عدة أحاديث شريفة منها ما أخرجه مسلم في كتاب الإمارة ، عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ﷻ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا».

## تتمة الافتتاحية

- **مجال التربية والتعليم:** وذلك بأن يتعاون أرباب المال مع أرباب العلم والخبرة، ويتعاون الكل مع الكل أسرة ومجتمعا ومؤسسات في سبيل النهوض بهذا القطاع الذي تملك فيه الأمة إمكانات إيجابية مهجورة وطاقات مبدعة مهدورة وفرصا موفورة.

- **ومجال البحث العلمي؛** مجال يحتاج إلى كثيرا من الاجتهاد الجماعي لأن التشاورَ بين العلماء أكثر إفادة، والعملَ وَفْق نظام فرق البحث أكثر إثمارا، والتنسيقَ بينها من أجل التكامل أكثر رشدا وسدادا.

- **ومجال الاقتصاد والكسب:** لما تتوفر عليه الأمة من ثروات طبيعية أوسع وأرحب، وأغنى وأطيب، لكنها ظلت نهبا لغيرها وحقا لسواها تحتكره النفوس المريضة بالظلم والاستبداد وكراهية الخير والحرية للعباد.

- **ومجال التدبير السياسي؛** يشوبه الفشل لأن كثيرا من المشاريع أجهضت بسبب اختلاف الآراء والتعصب للفكرة ولو كانت باطلة، والانتصار للقبيلة ولو كانت عن الحق نائية. وما تخلفت القطاعات العامة ولا تعطلت أو تأخر إنجاز الأعمال الكبرى في دولنا المسلمة إلا لافتراق كلمة المشاركين في التدبير العام، وتآكلهم وعدم تكاملهم، واختلافهم على المصالح العليا.

- **ومجال العلاقات الدولية؛** لأنه مجال تبرز فيه الحاجة أكثر إلى التحالف وعدم التخالف، وإلى التعاون والتكامل لأن ساحة العلاقات الدولية لا تثبت فيها قدم من كان جسمه مفرقا ولا يستمر في التفاعل البناء من ظل منعزلا. والأمة المسلمة محتاجة اليوم إلى اجتماع كلمة بلدانها وشعوبها، وتعاون دولها على مصالحها المشتركة.

إن الحاجة إلى إحياء العمل الجماعي والتعاون عليه حاجة ملحة من صميم إحياء ديننا وإحياء وجودنا الحضاري وقيمنا الإيجابية، ولن تنهض هذه الأمة وهي تخرق سنن الله تعالى في العمل الجماعي، ولن تدرك بحبوحة الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة إلا بالانخراط الإيجابي والفعال في العمل الجماعي والنأي عن الأنانية والفردانية المفرطة وصدق رسول الله ﷺ حين قال: «... عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة... من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة». (صحيح رواه الترمذي).

# اغتنام الأوقات من أسباب الرقي

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه؟ وعن شبابه فيما أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه؟ وعن علمه ماذا عمل به؟» (1).

يستفاد من الحديث الشريف، أن السنة تؤكد قيمة الوقت، وتقرر مسؤولية الإنسان عنه أمام الله يوم القيامة، بحيث يسأل عن أربع خصال، عن عمره عامة، وعن شبابه خاصة، كيف وظفه؟، وفيما استثمره؟، والشباب جزء من العمر، ولكن له قيمة متميزة باعتباره سن الحيوية الدافقة، ومرحلة القوة بين ضعفين: ضعف الطفولة، وضعف الشيخوخة، كما يسأل المرء عن جمع المال الذي اكتسبه، من أين؟ وكيف؟ وماهي منابعه؟ وكيف تصرف فيه؟ وهل أحسن استغلاله والتعامل به؟ أصرفه في الحلال أم في الحرام؟ فالمال سلاح ذو حدين له في الخير مجال طويل، وفي الشر ذيل كبير، كما يسأل عن علمه ماذا عمل به؟ هل بلغ أم كتم؟ فالعلم يحتاج إلى عمل، وقديما قيل: علم بلا عمل كشجرة بلا ثمر.

وعليه، فهذا الحديث ينبه كل عاقل بالغ إلى أن وقته ثمين، ينبغي أن يحسن استثماره واستغلاله، لأنه سيسأل عن دقائقه وساعاته وأيامه وشهوره، لأن كل ساعة مرت لا تعود إلى يوم القيامة.

وفي الحديث الشريف إشارة إلى قاعدة عند علماء البلاغة، عطف الخاص على العام، فكلمة عمره عامة، وكلمة شبابه خاصة، فمرحلة الشباب هي إحدى مراحل العمر التي يمر بها الإنسان، ولكن لخطورتها وأهميتها يسأل عنها العبد سؤالا خاصا.

وبالتأمل في القرآن والسنة، نلمس بوضوح عنايتهما بالوقت والدعوة إلى حسن استثماره واستغلاله في صور عديدة. وفي صدارة هذه العناية، قول الرحمن المنان، في معرض الامتنان، وبيان عظيم فضله على الإنسان: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا..﴾(2) ويقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾(3). أي خليفة يخلف كل واحد منهما صاحبه، فالليل يخلف النهار، والنهار يخلف الليل، فمن فاته عمل في أحدهما استدركه في الآخر. فالليل والنهار أيضا خزائن الأعمال، ومراحل الآجال، إذا ذهب أحدهما خلفه الآخر، ابتغاء إيقاظ الهمم إلى المسارعة في فعل الخيرات، وتنشيط الجوارح على فعل الطاعات.

كل هذا فيه دعوة إلى أخذ العبرة من مرور الليالي والأيام، فالليل والنهار يبليان كل جديد، ويقربان كل بعيد، ويطويان الأعمار، ويشيبان الصغار، ويفنيان الكبار.

ولبيان أهمية الوقت، أقسم الله تعالى في مطالع سور عديدة من القرآن المكي بأجزاء معينة منه، مثل الليل والنهار، والفجر، والضحى، والعصر، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى﴾(4)، ﴿والفجر وليال عشر﴾(5)، ﴿والضحى والليل إذا سجى﴾(6)، ﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر﴾(7)، بإجماع المفسرين، على أن الله تعالى إذا أقسم بشيء من خلقه، فلأهميته وعظمته، والتنبيه على جليل منفعته وآثاره.

للوقت خصائص ومميزات نذكر بعضها:

– الوقت هو الحياة: حياة الإنسان تتمثل في وقته الذي يقضيه من الميلاد إلى الوفاة، فعمر الإنسان قصير، مهما طالت الأعوام والسنون، حتى كأنها لحظات تمر مر السحاب، بل كالبرق الخاطف، فهذا شيخ المرسلين سيدنا عليه السلام، سئل، يا أطول الأنبياء عمرا، كيف وجدت الدنيا؟ فأجاب عليه السلام، كدار لها بابان، دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر! فإجابته عليه السلام تعبر عن حقيقة مقررة، هي تضاءل الأعمار عند الموت، فعندئذ يتراءى الإنسان قصر ما فات.

لذا بعض السلف كانوا يزنون أيام العبادات على وجه الخصوص، فيسمون الصلوات الخمس، "ميزان اليوم" حيث يفتتح المؤمن يومه بالصلاة، ويختمه بالصلاة، ويسمون يوم الجمعة "ميزان الأسبوع" ويسمون شهر رمضان، "ميزان العام" ويسمون الحج "ميزان العمر" حرصا منهم على سلامة الأيام والشهور والأعوام. ثم في النهاية سلامة العمر، وذلك مسك الختام.

– ما مضى منه لا يعوض ولا يعود:

كل لحظة تمر من العمر، لا يمكن استعادتها، وبالتالي لا يمكن تعويضها، وها هو الإمام الحسن البصري –رحمه الله– الذي كان كلامه أشبه بكلام الأنبياء، يقول: "ما من يوم ينشق فجره، إلا وينادي: يا ابن آدم أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزود مني، فإني إذا مضيت لا أعود إلى يوم القيامة". وقال أيضا، "يا ابن آدم إنما أنت أيام مجموعة، كلما ذهب يوم ذهب بعضك". وقال بعضهم: إنا لَنفرحُ بالأيام نقطعها وكل يوم مضى جزء من العُمر ولما كان الوقت سريع الانقضاء، وكان ما مضى منه لا يرجع، ولا يعوض بشيء، كان الوقت أنفس وأثمن ما يملك الإنسان، وترجع نفاسة الوقت إلى أنه وعاء لكل عمل وكل إنتاج، فهو في الواقع رأس المال الحقيقي للإنسان فردا أو مجتمعا(8).

لذا فعمر الإنسان هو رأس مال العبد الحقيقي الذي ينبغي أن يحرص على اغتنامه في طاعة الله عز وجل قبل فوات الأوان، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه، «اغتنم خمسا قبل خمس، شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»(9).

وقال عبد الله بن مسعود: رضي الله عنه "ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه، نقص فيه أجلي، ولم يزد فيه عملي" فهذا الكلام ينطبق عليه المثل الشائع: "الوقت من ذهب" ولكن حقيقة الأمر الوقت أغلى من الذهب واللؤلؤ، ومن كل جوهر نفيس.

– استثمار الأوقات وحسن استغلالها من صميم الشريعة:

من الواجب على المسلم تجاه وقته المحافظة عليه كما يحافظ على ماله، بل يجب أن يستفيد من وقته فيما يعود عليه بالنفع في دينه ودنياه، وهذا كان سائدا عند أصحاب القرون الأولى، فكانوا يحرصون على الاستفادة من أوقاتهم، لأنهم أعرف الناس بقيمتها. وهذا عمر بن عبد العزيز يقول: "إن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما". وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال سبعا هل تنظرون إلا إلى فقر مُنس، أو غنى مُطغ، أو مرض مفسد، أو هرم مُفند، أو موت مجهز، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر»(10). ومن الكلام المأثور عن السلف: قولهم، "من علامة المقت إضاعة الوقت" ويقولون: "الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك" فكانوا دائما يسعون إلى أن يكون يومهم أفضل من أمسهم، وغدهم أفضل من يومهم، وفي هذا يقول قائلهم: "من كان يومه كأمسه فهو مغبون، ومن كان يومه شرا من أمسه فهو ملعون".

وفي هذا يقول الشاعر:

**إذا مر بي يوم ولم أقتبس هدى**

**ولم أستفد علما فما ذاك من عمري**

وقال أحد الحكماء: من أمضى يوما من عمره في غير حق قضاه، أو فرض أداه، أو مجد أثله، أو حمد حصله، أو خير أسسه، أو علم اقتبسه، فقد عق يومه، وظلم نفسه.

وهذا الإمام ابن الجوزي –رحمه الله– يحكي أنه إذا حل به ضيف يشتغل في بري الأقلام، وخياطة الكتب، وضم الأوراق، وتقطيعها... كل ذلك من أجل استثمار الوقت. بل كان السلف الصالح يكرهون من الرجل أن يكون فارغا، لا هو في أمر دينه، ولا هو في أمر دنياه، وهنا تنقلب نعمة الفراغ نقمة على صاحبها. لأن من لم يشغل نفسه بالحق، شغلته نفسه بالباطل. ويشتد خطر الفراغ، إذا اجتمع مع الفراغ الشباب، الذي يتميز بقوة الغريزة، وفي هذا يقول الشاعر أبو العتاهية:

**إن الشبـــاب والفراغ والجـــده**

**مفسدة للمرء أي مفسده**(11)

وختاما نقول: ما أحوجنا في زماننا هذا إلى استثمار الأوقات وملئها بالطاعات، بَلْهَ إلى استغلال كل ساعة تمضي من عمرنا في العمل الصالح، وأخذ الدروس والعبر من انصرام الشهور والأعوام، فالسعيد السعيد، من حاسب نفسه، واستفاد من وقته فيما ينفعه في دينه ودنياه، فبمحاسبة النفس تستقيم الأحوال وتصلح الأعمال، ومن غفل ذلك ساءت أحواله وفسدت أعماله، فاللهم اصلح أحوالنا، وسدد أقوالنا، واهدنا سبل السلام.

---

1 – المعجم الكبير: أبو القاسم الطبراني، (ت 360هـ) ج 20 ص 60.

2 – سورة إبراهيم: الآيتان، 34 – 35.

3 – سورة الفرقان: الآية 61.

4 – سورة الليل: الآيتان: 1 – 2.

5 – سورة الفجر: الآيتان، 1 – 2.

6 – سورة الضحى: الآيتان، 1 – 2.

7 – سورة العصر: الآية، 1.

8 – الوقت في حياة المسلمين: للدكتور يوسف القرضاوي، الناشر: مؤسسة الرسالة بيروت، ط 5، 1991م ص 8.

9 – المستدرك على الصحيحين: للحاكم النيسابوري، (ت 405هـ)، كتاب الرقاق، ج 4 ص 341.

10 – سنن الترمذي: باب ما جاء في المبادرة إلى العمل، ج 4 ص 128.

11 – الجدة: القدرة المالية التي تمكن الإنسان من تحصيل ما يشتهي.

ذ. علي السباع

الآراء الواردة في مقالات الجريدة تعبر عن وجهة نظر أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي الجريدة

جريدة المحجة
المدير المؤسس: ذ. المفضل فلواتي
المدير المسؤول: د. عبد العلي حجيج
مسؤول الإخراج: رشيد صدقي
الموقع الاكتروني: www.almahajjafes.net
البريد الاكتروني: almahajjafes@gmail.com
عنوان المراسلة: حي عز الله، زنقة 2 رقم 3 فاس المغرب
الهاتف: 0535931113
الناسوخ: 0535944454
الإيداع القانوني: 1994–61
رقم الصحافة: 91/11
الترقيم الدولي: 3627–1113
الطبع: إكوبرانت
التوزيع: سابريس

# لا يدخل الجنة قاطع رحم

فال الله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾ (محمد: 23-24).

وفال الله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (البقرة: 25-26).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَقَالَتْ: هَذَا مُقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَذَلِكَ لَكِ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾

(محمد: 22 - 23) (أخرجه البخاري)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ؟ فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ»

(رواه مسلم (2558) "المَل: الرماد الحار. ويجهلون أي يسيئون"

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ وسلم يقول: «إن أعمال بني آدم تعرض على الله تبارك وتعالى عشية كل خميس ليلة الجمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم»

(رواه أحمد ورجاله ثقات وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب).

---

عن عائشة رضي الله عنه قالت: قال رسول الله لى: «الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله» (رواه البخاري).

---

قال رسول الله لى: «لا يدخل الجنة قاطع رحم» (رواه الترمذي).

عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَقَاطِعُ الرَّحِمِ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ، وَمَنْ مَاتَ مُدْمِنًا لِلْخَمْرِ سَقَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ نَهْرِ الْغُوطَةِ». قِيلَ لَهُ: وَمَا نَهْرُ الْغُوطَةِ؟ قَالَ: «نَهْرٌ يَجْرِي مِنْ فُرُوجِ الْمُومِسَاتِ يُؤْذِي أَهْلَ النَّارِ رِيحُ فُرُوجِهِنَّ» (مسند إمام أحمد)

فعن النبي لى قال: «إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك واقطع من قطعك قالت بلى يا رب قال فهو لك»

(رواه البخاري ومسلم).

---

عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مِنْ أَرْبَى الرِّبَا الاسْتِطَالَةُ فِي عِرْضِ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ وَإِنَّ هَذِهِ الرَّحِمَ شِجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، فَمَنْ قَطَعَهَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»

(في "صحيح أبي داود")

---

عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رجلا قال يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة فقال رسول الله ﷺ: «تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم»

(رواه البخاري ومسلم).

---

عن أبي بكر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه بالعقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم»

رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه).

روى الطبراني في الأوسط: عن جابر رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن مجتمعون فقال: «يا معشر المسلمين اتقوا الله وصلوا أرحامكم فإنه ليس من ثواب أسرع من صلة الرحم، وإياكم والبغي فإنه ليس من عقوبة أسرع من عقوبة بغي، وإياكم وعقوق الوالدين فإن ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام والله لا يجدها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار إزاره خيلاء إنما الكبرياء لله رب العالمين».

# القرآن الكريم وشروط السلامة في السير

د. مصطفى فوضيل

من المعلوم أن السير في طريق ما، وخاصة على جهة السفر، يستدعي ويستلزم شروطا، وذلك حتى يصل إلى المكان الذي يقصده بسلام وأمان.

وقد تبلورت هذه الشروط في زماننا في شكل قانون يضبط حركة السيارات والطائرات والبواخر وغيرها من وسائل النقل. ثم إن هناك شروطا أخرى لها علاقة بنوع الطريق من حيث صلاحيتها أو عدمها، وبطبيعة الأحوال الجوية، وبحالة السائق النفسية والعقلية والبدنية، وبحالة المركوب من حيث قوته وسلامته التقنية، وأن أي خلل يحدث في شرط من هذه الشروط يجعل السائر معرضا للأخطار بمقدار الخلل الواقع وخطره.

والإنسان في جانبه المعنوي الذي به تميز عن سائر المخلوقات مسافر في مجمل حياته وإن لم يركب سيارة ولا طائرة ولا غيرها ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ (الانشقاق: 6) فهو في سفر كامل يتضمن ذهابا وإيابا، وله بداية كما أن له نهاية.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل». وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك"(1).

قيل: عابر السبيل هو المار على الطريق طالبا وطنه في الدنيا، كعبد أرسله سيده في حاجة إلى غير بلده فشأنه أن يبادر بفعل ما أرسل فيه ثم يعود إلى وطنه، ولا يتعلق بشيء مما هو فيه (2).

وقيل: المراد أن ينزل المؤمن نفسه في الدنيا منزل الغريب فلا يتعلق قلبه بشيء من بلد الغربة، بل قلبه متعلق بوطنه الذي يرجع إليه، ويجعل إقامته في الدنيا ليقضي حاجته وجهازه للرجوع إلى وطنه. وهذا شأن الغريب، أو يكون كالمسافر لا يستقر في مكان بعينه، بل هو دائم السير إلى بلد الإقامة(3).

وهكذا يظهر من حديث الرسول الكريم ﷺ التنبيه على حقيقة الدنيا وأنها سير وسفر!! ومما يؤكد بقوة لافتة للانتباه العديدُ من الآيات في القرآن الكريم التي استعملت فيها ألفاظ تدل على معنى السير فمن ذلك لفظ الرجوع:

كما في قوله تعالى: ﴿واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله﴾ (البقرة: 281) و قوله تعالى: ﴿الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون﴾ (الروم 11).

ولفظ القلب: كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(العنكبوت: 21) قال الإمام الراغب: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ قيل حث على السياحة في الأرض بالجسم. وقيل حث على إجالة الفكر ومراعاة أحواله، كما روي في الخبر أنه قيل في وصف الأولياء: أبدانهم في الأرض سائرة وقلوبهم في الملكوت جائلة. ومنهم من حمل ذلك على الجد في العبادة للتوصل بها إلى الثواب. وعلى ذلك حُمل قوله عليه السلام: «سافروا تغنموا»(4).

ومن الألفاظ الواردة في هذا السياق أيضا لفظ الصراط المستقيم، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾(الأنعام: 153).

وللسير أو السفر إلى الآخرة خصائص تميزه عن السير المألوف منها:

1 – أنه سير بغير اختيار، فلا يختار الإنسان هل يسير أو لا يسير، فهو سائر لا محالة، لكنه إما سائر على هدى فهو في سلامة، أو سائر على ضلال فهو مشرف على الهلاك.

2 – أنه سير ليس له مسافة محددة معلومة عند السائر ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ (الأعراف: 187).

3 – أنه سير في غاية الأهمية وذلك لأنه سير نحو الخلود.

4 – أنه سير متواصل لا توقف فيه..!!

ولما كان هذا السفر الخاص أهم بكثير من السفر المألوف الذي يكون بين مدينة ومدينة أو بين دولة ودولة، فهو يستلزم –بالأولى والأحرى– شروطا ضرورية لا يمكن أن تتحقق السلامة الكاملة بدونها.

وسنحاول أن نقف في هذه المناسبة على بعض هذه الشروط المذكورة في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ. ويمكن تصنيفها إلى شروط موضوعية وشروط ذاتية: أما الأولى فلها علاقة بما يحيط بالإنسان حال السير، وأما الثانية فهي متعلقة بالإنسان ذاته.

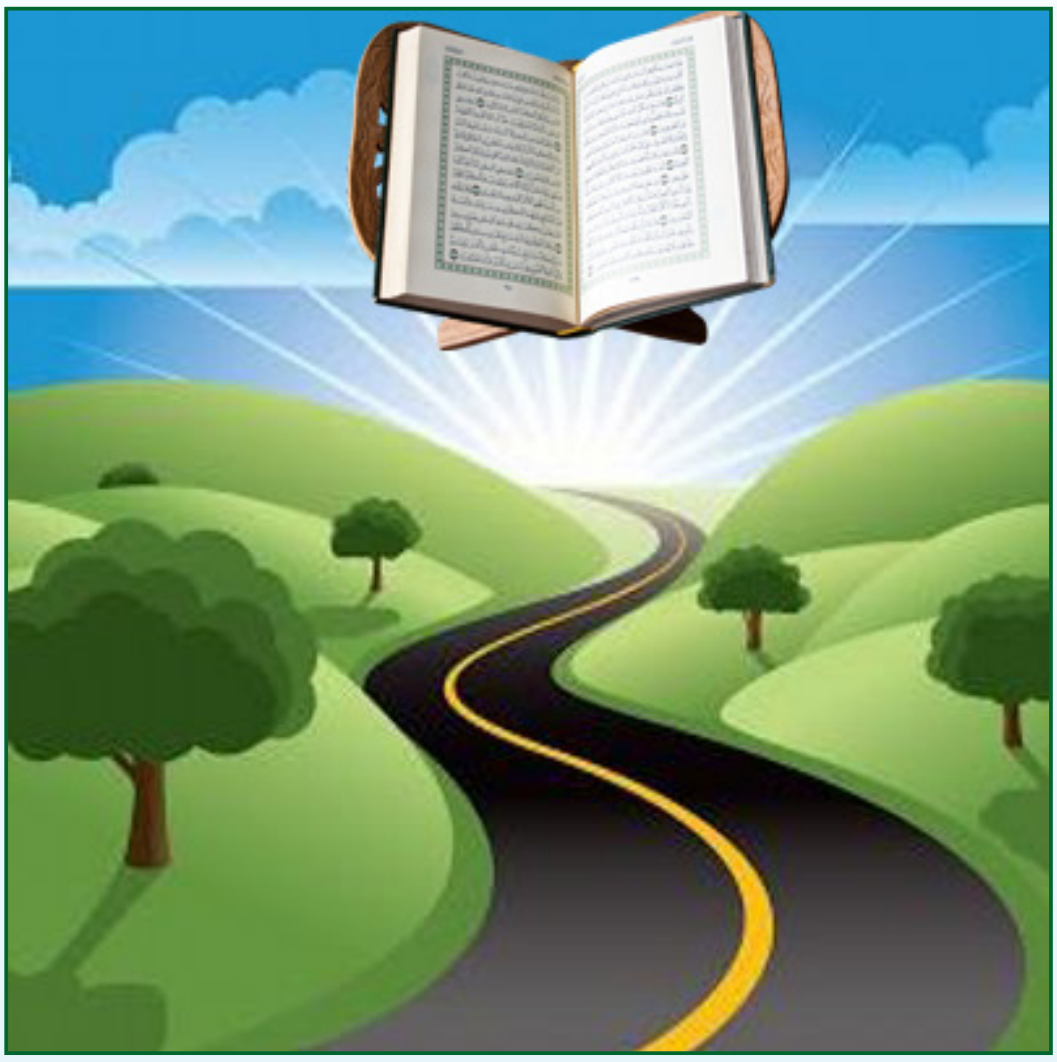

## أولا: الشروط الموضوعية:

### وضوح الرؤية:

فمن المعلوم أن مما يدخل في هذا العنصر بالنسبة للسائلين أن يكون الوقت نهارا، وألا يكون فيه ضباب أو مطر أو غيره مما يعيق رؤية الطريق بوضوح بحيث يتبين له اتجاهها ومنعرجاتها وعلاماتها وحواجزها وخطوطها، وما عساه أن يكون فيها من حصى أو صخور أو دواب أو غيرها.

وكذلك الإنسان في سيره إلى الدار الآخرة يحتاج إلى هذا الوضوح الكامل، وهو متحقق بحمد الله تعالى فيما أنزل من الهدى.

فالله تعالى يقول: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ (الأنعام: 122)، ويقول ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحديد: 28).

فبهذا النور الرباني تتبين حقائق الأشياء والأفكار والأشخاص، وتنكشف طريق الحياة واضحة، وذلك لأن مصدر هذا النور هو الله تعالى، فهو نور يخترق جميع أنواع الحجب مهما كانت كثافتها. وقد روى ابن ماجه عن العرباض بن سارية قال: "وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقلنا يا رسول الله إن هذه لموعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ قال: «قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»... الحديث"(5).

فزيادةً على أنها في حد ذاتها بيضاء نيرة، فإن ليلها كنهارها، فهما متساويان في النور، وفي هذا إيماء إلى أن السفر في النهار أسلم بكثير من السفر بالليل مهما كانت قوة الأضواء المستعملة. ومن يمارس السياقة يعلم ذلك علم اليقين!!، وهكذا يصير الليل نفسه بنور القرآن الكريم مضيئا نيرا، وهذا النور الذي يصدر من المحجة ليس أشعة مرسلة تسبب للأبصار الإزعاج أحيانا، وإنما هو نور كاشف وضّاح!! علما أن قانون السياقة ينصح بأخذ الحيطة والحذر عند السياقة في وقت شروق الشمس وغروبها إذا كانت قبالة السائق.

### صلاحية الطريق وسهولتها واختصارها:

ومن شروط السلامة أيضا استواء الطريق واستقامتها ما أمكن، فالمنعرجات وخاصة الضيقة منها، تستدعي الحذر الشديد، وقد عبر في الشرع عن استقامة الطريق إلى الآخرة بعدة ألفاظ، منها الاستقامة نفسها، ففي سورة الفاتحة: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، وفي سورة مريم على لسان إبراهيم يعظ أباه: ﴿فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ (مريم: 43)، وفي سورة طه ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ (طه: 135).

وبالاستقامة والاستواء يتوفر الوقت الكثير لأن أقرب خط بين نقطتين هو الخط المستقيم، وعُبِّر عن صلاحية هذه الطريق وأفضليتها بلفظ السبيل أيضا، والسبيل هو الطريق الذي فيه سهولة، وبلفظ المحجة وهي جادة الطريق.

### العلامات:

تعتبر العلامات التي تكون على الطريق من أهم الوسائل التي تعين المسافر على مواصلة سيره في أمان؛ فمنها ما ينبه على المنعرجات، ومنها ما ينبه على أماكن منع التجاوز، ومنها ما يشير إلى وجود قنطرة أو طريق ضيق، ومنها ما يوجب الوقوف المؤقت، ومنها ما يحذر السائق من الحيوانات التي قد تفاجئه وهي تمر في الطريق، إلى غير ذلك من العلامات المهمة.

فكذلك الإنسان في سيره إلى الدار الآخرة يحتاج إلى علامات تعينه على الوصول إلى الحق، وتنبهه على المخاطر والمهالك. وقد عبر عن هذه العلامات في القرآن الكريم بلفظ الآيات. والآية كما قال الإمام الراغب الأصفهاني: "هي العلامة الظاهرة، وحقيقته: لكل شيء ظاهرٌ هو ملازم لشيء لا يظهر ظهوره، فمتى أدرك مدرك الظاهر منهما علم أنه أدرك الآخر الذي لم يدركه بذاته؛ إذ كان حكمهما سواء، وذلك ظاهر في المحسوسات والمعقولات، فمن علم ملازمة العلَم للطريق المَنْهَج ثم وَجَد العَلَم عَلِم أنه وجد الطريق، وكذلك إذا علم شيئا مصنوعا علم أنه لابد له من صانع، واشتقاق الآية إما من أيٍّ فإنها هي التي تبين أيا من أي، والصحيح أنها مشتقة من التأيي الذي هو التثبت والإقامة على الشيء"(6).

ومن عظيم فضل الله تعالى ورحمته أن جعل هذه العلامات من الكثرة بحيث لا يبقى مجال للشك والارتياب أو الالتباس، كما أنه جعلها على صنفين: صنف يتلى، وصنف يرى:

أما الصنف الأول فيتمثل في آيات القرآن الكريم، وأما الصنف الثاني فيتمثل في الآيات التي بثها الله تعالى في هذا الكون الفسيح. وقد بلغت هذه الآيات جميعا من الصنفين الغاية في الوضوح والإبانة، فهي آيات بينة ﴿فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ (الأنعام: 157)، ومبينات ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ﴾ (النور: 34)، ومفصلة ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام: 97)، ومصرفة ﴿انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ (الأنعام: 65).

ثم إن ما أنزل الله تعالى من آيات القرآن الكريم يستوعب كل ما يهم الإنسان، وينبهه على المصالح والمفاسد سواء على مستوى التصورات أم على مستوى التصرفات.

تتمة: ص 12

# نصوص الإعجاز القرآني (19)

تُعنى هذه الزاوية بجمع ما تناثر من نصوص الإعجاز القرآني في غير مصادره المتخصصة، وما تناثر في هذه المصادر لكن لغير مؤلفيها، كما تُعنى بتصنيفها حسب تاريخ وفاة أصحابها، وذلك خدمة لمكتبة هذا العلم، وفتحا لآفاق جديدة للبحث فيه، ومحاولة لإقامة (الموسوعة التاريخية لنصوص الإعجاز القرآني في التراث العربي).

**(تتمة نصوص أبي منصور الماتريدي (ت333هـ))**

(8)

«وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ (هود: 13) أي قالوا: إنه افتراه، أي محمد افترى هذا القرآن من عند نفسه. قُلْ يا محمد إن كنت افتريته على ما تقولون فَأْتُوا أنتم ﴿بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾ (هود: 13)؛ لأنكم أقدر على الافتراء من محمد؛ لأنكم قد عودتم أنفسكم التكذيب والافتراء، ومحمد لم تأخذوه بكذب قط، ولا أظهر منه افتراء. فمن عود نفسه الافتراء والكذب أقدر عليه ممن لم يعرف ذلك قط. فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مثله مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا أيضا شهداءكم من الجن والإنس مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ يعينوكم على إتيان مثله إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أنه افتراء من عنده.

أو يقول: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾ أي إن محمدا قد جاء بسور فيها أنباء ما أسررتم، وأخفيتم ما لا سبيل إلى معرفة ذلك والاطلاع عليه إلا من جهة الوحي من السماء وإطلاع الله إياه. فَأْتُوا أنتم بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ فيها أنباء ما أضمر هو، وأسر، واطلعتم أنتم على سرائره كما اطلع هو على سرائركم. وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ من تعبدون مِنْ دُونِ اللَّهِ من آلهة إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أنه افتراء.

أو يقول: إن لسانكم مثلُ لسان محمد، فإن قدر هو على الافتراء افتراء مثله من عنده، وتقدرون أنتم على الافتراء مثله، فأتوا به، وادعوا أيضا مَن لسانه مثل لسانكم حتى يعينونكم على ذلك إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أنه افتراء، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾ وقوله تعالى في موضع آخر ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ (البقرة: 22) قال بعضهم قوله ﴿بِعَشْرِ سُوَرٍ﴾ نزل قبل قوله: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾، ولم يقدروا على مثله؛ دُعوا أولا أن يأتوا بعشر سور، فلما عجزوا عن ذلك عند ذلك قال لهم: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾... معناه: إن كان هذا مما يَحتمل الافتراء على ما تزعمون فأتوا بمثله أنتم؛ لأنكم أقدر على الافتراء من محمد، فإن لم تقدروا لم يقدر أحد على ذلك».

[تفسير الماتريدي، 2/513]

(9)

«ثم قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ (الإسراء: 88) ما قدروا عليه، وقوله تعالى: ﴿بِمِثْلِهِ﴾ أي به، كقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى: 11) أي ليس هو شيئا، إذ لا مثل له.

فدل أن قوله: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ أي لا يقدرون أن يأتوا به بعد ما عرفوه، وعاينوه، فلأن لا يقدروا على إتيانه ابتداء قبل أن ينظروا فيه، ويعرفوا أمثاله أشد وأبعد؛ إذ نَظْمُ شيء وتصويره بعدما عاينوا الأشياء والصورَ أهونُ وأيسر من تصويرها قبل أن يعاينوها، ويشاهدوها.

وجائز أن يُسْتَدَلّ بهذه الآية على أنه كان مبعوثا إلى الإنس والجن جميعا حين قال: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ﴾؛ لأنه لو لم يكن مبعوثا إلى الفريقين جميعا لم يكن لذكرهما معنى وفائدة.

وفيه دلالة أن في الجن مَن لسانه لسان العرب، إذ لو لم يكن ذلك لم يكن يذكر أولئك.

ثم جائز أن يكون قوله: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ﴾ الإنس مع الإنس، والجن مع الجن، أو الإنس مع الجن، أي: هؤلاء مع هؤلاء ﴿عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ (الإسراء: 88).

وقال بعض أهل التأويل: إنما ذكر هذا لقولهم: إنه سحر وقولهم ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ (النحل: 103) وقولهم: ﴿مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى﴾ (سبإ: 43) وقولهم: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ (المؤمنون: 38) ومثله. يقولون: إن الإفك والسحر وما ذكرتم لا يكون إلا من هذين من الجن والإنس، فأخبر أنهم لو اجتمعوا ﴿عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ﴾ ما قدروا عليه.

والدلالة على أنهم عجزوا عن ذلك، ولم يطمع أحد منهم في ذلك إلا سفيه، أظهر الله سفهه وكذبه في القرآن حيث قال: ﴿قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (الأنفال: 31) ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ (الأنفال: 32) لم يسأل التوفيق إن كان هو حقا، ولكن سأل العذاب ﴿أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الأنفال: 32).

دل أنه كان سفيها آية السفه بقوله: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ثم ارتاب فيه، وشك بقوله: ﴿إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ﴾ وإلا لم يطمع، ولم يخطر ببال أحد من الخلائق التكلف لذلك. دل أنه آية معجزة من الله تعالى.

ثم اختلف في قوله: ﴿عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ﴾ (الإسراء: 88) قيل: مثل نظمه ورصفه، وقيل: مثل حقه وصدقه.

ويحتمل: مثل حججه وبراهينه. ويحتمل: مثل إحكامه وإتقانه.

يحتمل قوله: ﴿عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ (الإسراء: 88) هذه الوجوه الخمسة التي ذكرنا.

ثم قوله: ﴿بِمِثْلِهِ﴾ يحتمل ما ذكرنا أي بالذي رفع، وذهب به على التأويل الذي جعلناه صلة قوله: ﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ (الإسراء: 86) ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ﴾ (الإسراء: 87) بالذي ذهب به، ورفع ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ أي لا يقدرون عل إتيانه.

وإن كان هذا الابتداء فهو على المثل، أي لا يقدروا عليه بعد ما قرع سمعهم هذا. فلو كان في وسعهم هذا لفعلوا؛ ليخرج قولهم صدقا وقول الرسول كذبا. فإن لم يفعلوا ذلك، ولم يتكلفوا، دل أنهم عرفوا أن ذلك من الله، وأنه آية معجزة خارجة عن وسعهم».

[م.س، 3/191-192]

(10)

«ثمّ الأصل عندنا في إعلام الرّسل وجهان:

أحدهما ظهور أحوالهم على جهة تدفع العقول عنه الرّيبة وتأبى فيه توهم الظنة، بما صحبوه في الصغر والكبر فوجدوه ظاهرا صفيا تقيا...

والثّاني مجيء الآيات الخارجة عن طبائع أهل البصر في ذلك النّوع، الممتنعة عن أن يُطمَع في مثلها أو يَبلغ بكنهها التّعلّمُ. مع ما لو احتُم لأن يبلغ أحدٌ ذلك بالتعلم والاجتهاد، فإن الرّسل بما نشأوا لا في ذلك، وربّوا لا به، يظهر أنهم استفادوه بالله، أكرمهم بذلك؛ لما يجعلهم أمناء على وحيه...

وأيضا إنهم لم يقصّروا في شيء دعوا إليه اجتهادا، ولا رُوي في شيء من أمورهم هوادة، ولا عُرف في شيء من أخلاقهم نكير، ولا في شيء من الأسباب الّتي بكل واحد- ممّا فيها بُعد النّاس بذلك - ما يوصف بالتمام:

من السخاء والشجاعة ومكارم الأخلاق... وغير ذلك ممّا يحقّ الميل إلى كل مَن فيه خصلة منها والتعظيم له لمكان ذلك؛ فكيف لمن جمع الخصال المعروفة في المكارم، مع حسن الأداء عن الله جلّ ثناؤه...

وكل الّذي ذكرتُ كان لمحمد ﷺ، مع غير ذلك من الآيات الّتي دامت له ممّا فيه إظهار نبوته، وأنه خاتم الأنبياء:

منها هذا القرآن الذي تحدى به جميع الكفرة أن يأتوا بمثله، وأن يعينهم على ذلك الجنّ والإنس، فما طمع في ذلك إلا سفيه أخرق هجره قومه لسخفه.

وفيه أيضا بيان الحكم لجميع النّوازل الّتي تحدث إلى يوم القيامة، ليُعلم أنه جاء من عند مَن يعلم الغيب وما يكون أبدا؛ وبما جاء له من البشارات في فتح البلدان، وإظهاره دينه بين أهل الأديان، وما فيه من الأنباء عمّا كان ممّا يعلم الخلق أنه لم يكن اختلف إلى أحد ممّن يعلم ذلك، ولا نظر في كتاب قطّ لتبقى له تلك الآيات. مع ما ذُكر شأنه في الكتب السماوية وحاجّ أهل الكتاب فلم يمكنهم إنكاره إشفاقا على أنفسهم؛ بل قد باهلهم مباهلته اليهود بقوله: ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ﴾ (الجمعة: 6)، والنصارى بقوله: ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ (آل عمران: 61)، والجميع بقوله: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ﴾ (هود: 55)، وإظهاره اشفاقا وإظهاره الأمن عنهم والثقة بالله بقوله ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (المائدة: 67) مع ما له آيات في الخلق...».

[كتاب التوحيد للماتريدي، ط. دار صادر، ص: 260-263]

د. الحسين زروق

# علل الخطاب الإسلامي المعاصر، وآفاق في علاجها (4/10)

## محدودية دافعيته إلى العمل

بالنظر إلى الآثار والنتائج العملية للخطاب الإسلامي المعاصر يمكن رصد ظاهرة خطيرة وهي: "كثرة الكلام والتوجيهات الدينية وقلة الأثر والعمل"، ولهذه الظاهرة أسباب، بعضها يرجع إلى طبيعة مادة الخطاب الدعوي، وبعضها يرجع إلى البيئة العامة للمدعوين.

وفي مقالنا هذا بيان للجانب الأول المتعلق بطبيعة مادة الخطاب الإسلامي، لنعرف هل هي على حالها المعاصر جديرة بأن تبعث النفوس وتوجهها إلى العمل الذي هو المقصود الأعلى والأساس من العلم؟

وسيقوم تناولنا لهذا الجانب على تحليل فكرة منهجية طرحها الشاطبي في المقدمة الثامنة من مقدمات الموافقات،يؤكد فيها الشاطبي أن طبيعة العلم ودرجة رسوخه في النفس ومستوى اقتناعها وتصديقها به هي التي تحدد درجة بعثه النفس إلى العمل قوة وضعفا.

### الخطاب المعتبر شرعا هو الذي يقدم للجمهور ما يحملهم على العمل:

يقول رحمه الله: "الْعِلْمُ الَّذِي هُوَ الْعِلْمُ الْمُعْتَبَرُ شَرْعًا -أَعْنِي الذي مدح الله ورسوله ﷺ أَهْلَهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ- هُوَ الْعِلْمُ الْبَاعِثُ عَلَى الْعَمَلِ، الَّذِي لَا يُخَلِّي صَاحِبَهُ جَارِيًا مَعَ هَوَاهُ كَيْفَمَا كَانَ، بَلْ هُوَ الْمُقَيِّدُ لِصَاحِبِهِ بِمُقْتَضَاهُ، الْحَامِلُ لَهُ عَلَى قَوَانِينِهِ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا".

وهنا يأتي السؤال متى يكون العلم المقدم إلى الجماهير باعثا لهم على العلم ومتى لا يكون؟

وقد يبدو من جواب الشاطبي على هذا السؤال أن الأمر راجع إلى المتلقي، لكن المتلقي في الحقيقة كالأرض تنبت ما ألقي فيها، ومن هنا لابد أن نتوجه بالنصح والسؤال إلى من يلقي العلم ويعلمه وهم العلماء والدعاة، هل ما تلقونه وتلقنونه للناس من علم شرعي وتوجيه ديني يصل إلى درجة أن تكون فاعلا وباعثا نحو العمل؟

### درجات العلم ودرجات العمل:

بالتأمل في نظرية الشاطبي في قضايا العلم والعمل نجده يرتب للعلم درجات بناء عليها يترتب العمل يقول رحمه الله: "أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ فِي طَلَبِهِ وَتَحْصِيلِهِ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاتِبَ:

**الْمَرْتَبَةُ الْأُولَى:** الطَّالِبُونَ لَهُ وَلَمَّا يَحْصُلُوا عَلَى كَمَالِهِ بَعْدُ، وَإِنَّمَا هُمْ فِي طَلَبِهِ فِي رُتْبَةِ التَّقْلِيدِ، فَهَؤُلَاءِ إِذَا دَخَلُوا فِي الْعَمَلِ بِهِ؛ فَبِمُقْتَضَى الْحَمْلِ التَّكْلِيفِيِّ، وَالْحَثِّ التَّرْغِيبِيِّ وَالتَّرْهِيبِيِّ، وَعَلَى مِقْدَارِ شِدَّةِ التَّصْدِيقِ يَخِفُّ ثِقَلُ التَّكْلِيفِ؛ فَلَا يَكْتَفِي الْعِلْمُ هَهُنَا بِالْحَمْلِ دُونَ أَمْرٍ آخَرَ خَارِجٍ مَقُولُهُ؛ مِنْ زَجْرٍ، أَوْ قِصَاصٍ، أَوْ حَدٍّ، أَوْ تَعْزِيرٍ، أَوْ مَا جَرَى هَذَا الْمَجْرَى".

فَهُنَاك درجة من الخطاب والمضمون العلمي نسميه خطاب الوعظ وهو الذي تناوله مقالنا السابق الذي يقف فيه الداعية والمعلم والمربي في خطابه عند مستوى الترغيب والترهيب لا يتعداه، سواء في ذلك ما كان منه دنيويا أو أخرويا، وذكرنا هناك آفة هذا النوع من الخطاب، وذكر الشاطبي هنا أن مثل هذا الخطاب يحدث أثرا محدودا مؤقتا في نفس المكلف، حيث يتوقف المكلف بعده عن العمل بمجرد انقطاع الترغيب والترهيب فكأنه يحتاج إلى زجرٍ دائم.

**"وَالْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ:** الْوَاقِفُونَ مِنْهُ عَلَى بَرَاهِينِهِ، ارْتِفَاعًا عن حضيض التقليد الْمُجَرَّدِ، وَاسْتِبْصَارًا فِيهِ، حَسْبَمَا أَعْطَاهُ شَاهِدُ النَّقْلِ، الَّذِي يصدِّقه الْعَقْلُ تَصْدِيقًا يَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ، وَيَعْتَمِدُ عَلَيْهِ؛ إِلَّا أَنَّهُ بَعْدُ مَنْسُوبٌ إِلَى الْعَقْلِ لَا إِلَى النَّفْسِ، بِمَعْنَى أَنَّهُ لَمْ يصر كَالْوَصْفِ الثَّابِتِ لِلْإِنْسَانِ، وَإِنَّمَا هُوَ كَالْأَشْيَاءِ الْمُكْتَسَبَةِ، والعلوم المحفوظة، التي يتحكم عليها العقل، وعليه يُعْتَمَدُ فِي اسْتِجْلَابِهَا، حَتَّى تَصِيرَ مِنْ جُمْلَةِ مُودَعَاتِهِ، فَهَؤُلَاءِ إِذَا دَخَلُوا فِي الْعَمَلِ؛ خَفَّ عَلَيْهِمْ خِفَّةً أُخْرَى زَائِدَةً عَلَى مُجَرَّدِ التَّصْدِيقِ فِي الْمَرْتَبَةِ الْأُولَى، بَلْ لَا نِسْبَةَ بينهما؛ إِذْ هَؤُلَاءِ يَأْبَى لَهُمُ الْبُرْهَانُ الْمُصَدَّقُ أَنْ يَكْذِبُوا، وَمِنْ جُمْلَةِ التَّكْذِيبِ الْخَفِيِّ؛ الْعَمَلُ عَلَى مُخَالَفَةِ الْعِلْمِ الْحَاصِلِ لَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ حِينَ لَمْ يَصِرْ لَهُمْ كَالْوَصْفِ، رُبَّمَا كَانَتْ أَوْصَافُهُمُ الثَّابِتَةُ مِنَ الْهَوَى وَالشَّهْوَةِ الْبَاعِثَةِ الْغَالِبَةِ أَقْوَى الْبَاعِثَيْنِ؛ فَلَا بُدَّ مِنَ الِافْتِقَارِ إِلَى أَمْرٍ زَائِدٍ مِنْ خَارِجٍ، غَيْرَ أَنَّهُ يَتَّسِعُ فِي حَقِّهِمْ؛ فَلَا يُقتصر فيه عَلَى مُجَرَّدِ الْحُدُودِ وَالتَّعْزِيرَاتِ، بَلْ ثَمَّ أُمُورٌ أُخَرُ كَمَحَاسِنِ الْعَادَاتِ، وَمُطَالَبَةِ الْمَرَاتِبِ الَّتِي بَلَغُوهَا بِمَا يَلِيقُ بِهَا، وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ".

د. أحمد زايد

تتمة: ص 7

# معالم الرقي الحضاري في السنة النبوية (5)

# الذوق السليم

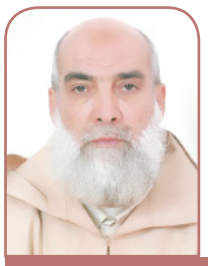

د. محمد البوزي

## 2 - الذوق السليم في السمت الحسن وزينة اللباس:

إذا كان الإسلام دين الصفاء والنقاء، كما سبق تقريره، فإن شريعته لا تريد للمؤمن إلا أن يُرى في أكمل صورة وأبهى منظر يحبه الله ﷻ من عباده. لذلك شرع لنا الإسلام ما يلي:

– لبس الزينة (الثياب النقية) عند مناجاة الخالق في الصلاة، فقال تعالى:

﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ (الأعراف: 29–30).

فالزينة والطيبات من الأكل والشرب مما أحل الله لكن بدون إسراف أو مخيلة، وسبقت الإشارة لحديث الرسول ﷺ «إن الله جميل يحب الجمال» (مسلم) الذي ورد في معرض النهي عن التكبر والخيلاء ليعلمنا الرسول ﷺ أن تزكية النفس من شوائب سوء الخلق لا تنفك عن تنقية الجسد واللباس وطهارتهما من الأوساخ والقاذورات، فقال ﷺ: «لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ» (رواه مسلم وأحمد والحاكم وغيرهم ..).

– التجمل ولبس أحسن الثياب لملاقاة الناس في الجمع والأعياد:

– عن ابن سلام رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول على المنبر يوم الجمعة «ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته» (رواه أبو داود وابن ماجه).

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «لَا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْرٍ وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ ثُمَّ يَخْرُجُ فَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الْإِمَامُ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى» (رواه أحمد والبخاري).

وعند الطبراني في الأوسط والكبير بسند رجاله ثقات عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في جمعة من الجمع «يا معشر المسلمين هذا يوم جعله الله لكم عيدا فاغتسلوا وعليكم بالسواك».

بل ورد في السيرة النبوية عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ إذا أراد أن يستقبل الوفود تهيأ لذلك بلباس خاص (المغازي للواقدي).

– استحسان لبس الأبيض من الثياب:

وهذا ما يتميز به المسلم ويوافق شعار الإسلام (الصفاء والنقاء)، ومعلوم أن اللون الأبيض مما تتفق عليه الأذواق ويحبه كل من كان مزاجه سليم الفطرة والذوق، لذلك كان النبي ﷺ يحب الأبيض من الثياب، ويحث على لبسه؛ فعن سَمُرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالْبَيَاضِ مِنْ الثِّيَابِ، فَلْيَلْبَسْهَا أَحْيَاؤُكُمْ وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ، فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ» (رواه النسائي، وإسناده صحيح).

– إكرام الشعر وترجيله بلا إسراف ولا مخيلة:

لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عند أبي داود أن النبي ﷺ قال: «مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ».

وفي الموطأ للإمام مالك أن رجلا دخل على النبي ﷺ وأصحابه، وهو ثائر الشعر فأشار إليه رسول الله أن ارجع أي ليصلح حاله ففعل ثم أتى فقال الرسول ﷺ: «أَلَيْسَ هَذَا خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدُكُمْ ثَائِرَ الرَّأْسِ كَأَنَّهُ شَيْطَانٌ» (الموطأ كتاب الجامع باب الشعر).

غير أن المبالغة في الاعتناء بالشعر والمنظر مذمومة، لما فيها من الإسراف وتضييع الوقت فيما لا يستحقه، وقد (نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ التَّرَجُّلِ إِلَّا غِبًّا) (صحيح س الترمذي).

وقال الشوكاني رحمه الله: "والحديث يدل على كراهة الاشتغال بالترجيل في كل يوم، لأنه نوع من الترفه. وقد ثبت من حديث فضالة بن عبيد عند أبي داود قال: "إن رسول الله ﷺ كان ينهانا عن كثير من الإرفاه" (ص س الترمذي)، والإرفاه: (الاستكثار من الزينة وأن لا يزال يهيئ نفسه).

وذلك من شأن النساء، والرجل جماله الحق في قوته وشجاعته وعلمه، وليس في شعره ولباسه...

## 3 - الذوق السليم في حفظ سمات النوع الإنساني (ذكر أو أنثى):

حفظ سمات الرجولة للرجل ، وسمات الأنوثة للأنثى، وعدم تشبه جنس أو نوع بآخر، من شريعة الإسلام القائمة على الإيمان بأن الله هو الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا خلق كلا من الذكر والأنثى وأحسن خلقتهما وصورهما كما اقتضت حكمته، وحذر من فعل الشيطان الذي أقسم على الإنسان أن يغويه ويأمره بتغيير خلق الله ﴿... وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ (النساء آية: 118).

لذلك لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال..." (البخاري كتاب اللباس).

– وعنه أيضا قال: "لعن رسول الله ﷺ المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء" (صحيح س الترمذي 2236).

ومن هو المخنث لغة واصطلاحا؟:

ورد في معاجم اللغة : (خَنِثَ الرجلُ يخنث خَنَثا، فهو خَنِثٌ، وتَخَنَّثَ، وانْخَنَثَ: تَثَنَّى وتَكَسَّرَ، والأُنثى خَنِثَةٌ. وخَنَّثْتُ الشيءَ فتَخَنَّثَ أَي عَطَّفْتُه فتَعَطَّف؛ والمُخَنَّثُ من ذلك لِلينه وتَكَسُّره، وهو الانْخناثُ، فالخَنِث: المسترخِي المتكسِّر وامرأَة خُنُثٌّ: مُتَثَنِّيةٌ).

وورد في معجم لغة الفقهاء: (المخنث: بضم الميم وتشديد النون المفتوحة، الرجل المتشبه بالنساء في مشيته وكلامه وتعطفه وتليينه).

والمخنث الملعون في الحديث هو الذكر الذي اختار بإرادته التشبه بالنساء بدون ضرورة خلقية وإنما حبا في تغيير خلق الله ونزوعا إلى الفسق والانحراف لأن معظم المخنثين دافعهم لذلك هو الشذوذ الجنسي أو النزوع للفسق مع الجنس الآخر...

أما المخنث بالخلقة الذي يسمى (الخنثى المشكل) لعدم وضوح علامات الذكورة أو الأنوثة عليه، فهو وإن كان في كلامه لين وفي أعضائه تكسّر –ولم يشتهر بشيء من الأفعال الرّديئة– فلا يعتبر فاسقاً ولا يشمله اللعن الوارد في الحديث، و له أحكام خاصة في الفقه الإسلامي.

وقضية التشبه بالجنس الآخر قضية كبرى في الإسلام لمفاسدها العظمى منها؛

– اتباع أوامر الشيطان في تغيير خلق الله، ومنها الانسياق مع أهواء النفوس المريضة المنحرفة، وإثمها الأكبر في أنها تنافي الإيمان بقضاء الله وقدره والرضا بالمكانة التي اختارها الله للعبد ذكرا كان أو أنثى، لذلك كان حكم الإسلام صارما في الموضوع فقد نهى الله حتى عن تمني أحد الجنسين مكانة الآخر، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾ (النساء: 32).

مع أن سبب نزول الآية –كما جاء في التفاسير– هو سؤال أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها الرسول ﷺ: لماذا لا يغزو النساء ويكون لهن من الفضل ما للرجال؟ فكان جواب القرآن فاصلا في الموضوع.

ومما يؤسف له أن ظاهرة التخنث بين الشباب وتشبه البنات بالذكور باتت ظاهرة لافتة للنظر بمستويات وأشكال مختلفة يمجها الذوق السليم فبالأحرى الذوق الإسلامي، ويشهرها الفساق من غير المسلمين، و يدافع عنها المارقون من الدين تحت ذرائع الحقوق وحرية الإنسان الشخصية –الإنسان المنتسب للقردة، نعم– وليس الإنسان بني آدم الذي كرمه الله وفضله، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ (التين: 4 – 5).

**يتبع ..**

---

1 – ومعنى جميل يحب الجمال : قال المناوي: إن الله جميل أي له الجمال المطلق جمال الذات وجمال الصفات وجمال الأفعال، يحب الجمال أي التجمل منكم في الهيئة، أو في قلة إظهار الحاجة لغيره، والعفاف عن سواه. شرح حديث 1720 فيض القدير ج2 ص 283

2 – صحيح سنن أبي داود ، قوله : "فليكرمه": "أي فليزينه ولينظفه بالغسل والتدهين والترجيل ولا يتركه متفرقاً".

3 – نيل الأوطار ج 1 ص 152 ط دار الفكر غير محقق.

4 – اللسان والمعجم الوسيط بتصرف.

5 – محمد رواس قلعجي وحامد صادق قنيبي ج1 ص 314 باب الميم.

تتمة الصفحة: 6

وهذه المرتبة كما هو ظاهر من كلام الشاطبي تميزت بمزيد إقناع وتصديق واعتمد فيها على العقل لا النفس، فصار العلم بذلك وصفا ثابتا للإنسان، والسبب في ذلك اقتناعه بالمعلوم من حيث حججه وبراهينه، ومن شأن كل معلوم كهذا أن يبعث على العمل بصورة أعلى من سابقتها، وأن يخف العمل على المكلف بسبب تلك الزيادة الحاصلة في مضمون الخطاب الذي تلقاه وتأصل في عقله، وهذه الدرجة وإن كانت طيبة مقبولة إلا أن الانقطاع عن العمل متوقع، فلا يزال المكلف في حاجة إلى درجة أعلى يندفع فيها إلى العمل بسهولة وتلقائية كأنه ملجأ إلى العمل إلجاء وتلك هي المرتبة الثالثة التي أشار إليها الشاطبي بقوله:

"**وَالْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ**: الَّذِينَ صَارَ لَهُمُ الْعِلْمُ وَصْفًا مِنَ الْأَوْصَافِ الثَّابِتَةِ، بِمَثَابَةِ الْأُمُورِ الْبَدِيهِيَّةِ فِي الْمَعْقُولَاتِ الْأُوَلِ، أَوْ تُقَارِبُهَا، وَلَا يُنْظَرُ إِلَى طَرِيقِ حُصُولِهَا؛ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ، فَهَؤُلَاءِ لَا يُخَلِّيهِمُ الْعِلْمُ وَأَهْوَاءَهُمْ إِذَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ، بَلْ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ رُجُوعَهُمْ إِلَى دَوَاعِيهِمُ الْبَشَرِيَّةِ، وَأَوْصَافِهِمُ الْخَلْقِيَّةِ1، وَهَذِهِ الْمَرْتَبَةُ هِيَ الْمُتَرْجَمُ لَهَا. وَالدَّلِيلُ عَلَى صِحَّتِهَا مِنَ الشَّرِيعَةِ كَثِيرٌ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ (الزُّمَر: 10).

ثُمَّ قَالَ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الْآيَةَ (الزُّمَر: 10) .

فَنَسَبَ هَذِهِ الْمَحَاسِنَ إِلَى أُولِي الْعِلْمِ مِنْ أَجْلِ الْعِلْمِ، لَا مِنْ أَجْلِ غَيْرِهِ.

...وَلَمَّا كَانَ السَّحَرَةُ قَدْ بَلَغُوا فِي عِلْمِ السِّحْرِ مَبْلَغَ الرُّسُوخِ فِيهِ، وَهُوَ مَعْنَى هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ؛ بَادَرُوا إِلَى الِانْقِيَادِ وَالْإِيمَانِ حِينَ عَرَفُوا مِنْ عِلْمِهِمْ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ مُوسَى عليه السلام حَقٌّ، لَيْسَ بِالسِّحْرِ وَلَا الشَّعْوَذَةِ، وَلَمْ يَمْنَعْهُمْ مِنْ ذَلِكَ التَّخْوِيفُ وَلَا التعذيب الذي توعدهم به فرعون".

وقد استرسل الشاطبي في التدليل على هذه المرتبة المهمة التي عندها يكون العلم صفة ثابتة راسخة للإنسان ملجئة إياه إلى لعمل بلا تكلف ولا تصنع ولا مشقة، مبينا أن هذه الأدلة على ذلك أكثر من أن تحصى "وَجَمِيعُهَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعِلْمَ الْمُعْتَبَرَ هُوَ الْمُلْجِئُ إِلَى الْعَمَلِ بِهِ".

وأن الذين يقعون في المعاصي والمخالفات ويفقدون الدافعية إلى العمل لم يؤتوا من قبل كونهم علماء حقا وإنما بحسب نظرة الشاطبي "وَقَعُوا فِي الْمُخَالَفَةِ بِسَبَبِ ظَنِّ الْجَهْلِ عِلْمًا؛ فَلَيْسُوا مِنَ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ، وَلَا مِمَّنْ صَارَ لَهُمْ كَالْوَصْفِ، وَعِنْدَ ذَلِكَ لَا حِفْظَ لَهُمْ فِي الْعِلْمِ؛ فَلَا اعْتِرَاضَ بِهِمْ. فَأَمَّا مَنْ خَلَا عَنْ هَذِهِ الْأَوْجُهِ الثَّلَاثَةِ؛ فَهُوَ الدَّاخِلُ تَحْتَ حِفْظِ الْعِلْمِ، حَسْبَمَا نَصَّتْهُ الْأَدِلَّةُ، وَفِي هَذَا الْمَعْنَى مِنْ كَلَامِ السَّلَفِ كَثِيرٌ".

وخلاصة ما سبق أن العلماء والدعاة لابد أن يراجعوا ما يلقونه على الناس ليقدموا لهم علما يرقى إلى مستوى الدافعية للعمل.

# الواقع الدولي المعاصر

## قراءة في خصائصه ومكوناته وتأثيراته 2/2

**تقديم: في الحلقة الأولى تناول الكاتب مختلف التعريفات التي أعطيت لمفهوم الواقع الدولي وإشكالاتها، ووقف عند أهم خصائص هذا الواقع الثابتة والمتغيرة؛ إيديولوجيا وسياسيا واقتصاديا وعلميا وعسكريا التي منحت للدول الكبرى إمكانات السيطرة والتحكم في مصائر الدول والشعوب وخيراتها وثرواتها المادية والبشرية وإدارة العلاقات الدولية وفق مصالح الكبار. ويواصل في هذه الحلقة الحديث عن مكوناته وآليات اشتغاله وآثار ذلك على اختلال ميزان العلاقات الدولية.**

### ثالثا- مكوناته:

يتكون الواقع الدولي من مجموعة من المكونات الفاعلة والمنفعلة، القوية والضعيفة، ويهمنا الآن الوقوف على المكونات الفاعلة في السياسة الدولية ومجرياتها. وعلى رأس ذلك ما يأتي:

1 – **الدول المستقلة:** إذ تعتبر الدولة من أهم مفاهيم النظام الدولي وواحدة من أبرز مكوناته، سواء أكانت دولا كبرى أم متوسطة أم صغيرة. ولا تنشأ دولة من الدول أو تتأسس إلا باعتراف المجموعة الدولية الفاعلة.

ويشار هنا أن الواقع الدولي يشهد تفاوتا واضحا بين دوله من حيث القوة والفاعلية، وتعتبر الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن هي الدول الأقوى عالميا والأكثر تأثيرا في صنع السياسات الدولية وتليها دول من الصنف الثاني ثم دول ضعيفة تتأثر ولا تؤثر.

2 – **المؤسسات الدولية الكبيرة:** كمنظمة الأمم المتحدة ومجلس الأمن، وقوات الطوارئ الدولية والمؤسسات المالية كالبنك الدولي وصندوق النقد الدولي، والبنوك المركزية الإقليمية والاتحادات الدولية الكبيرة اقتصاديا أو سياسيا أو عسكريا، أو غير ذلك. (الاتحاد الأوروبي– الحلف الأطلسي– الاتحاد الإفريقي– منظمة التجارة العالمية..)

وبالرجوع إلى سياق ظهور هذه المؤسسات الدولية وأهدافها والمتحكمين فيها يظهر أن لها تأثيرا كبيرا في مجريات النظام الدولي تثبيتا لأسسه وتحقيقا لأغراضه، وطردا لكل ما ينافيه ويعارضه.

3 – **الأحلاف والتكتلات الدولية:** كالتي سبقت والإقليمية سواء أكانت تكتلات سياسية أو اقتصادية أو إعلامية أو غير ذلك ويكون تأثيرها دوليا بقدر قوة أعضائها.

4 – **الشركات الاقتصادية الكبرى العابرة للحدود والقارات:** وهي جزء رئيس من الفاعلين الدوليين وتكمن أهميتها في أنها تفوق الدول من حيث القدرات والاختصاص ولها تأثير سياسي واقتصادي كبير وواضح على سياسات الدول داخليا وخارجيا.

5 – **المنظمات الحقوقية المحلية والدولية والمرتبطة بشبكة النظام الدولي ومؤسساته:** وهي منظمات كان لها دور كبير في نشر الثقافة الحقوقية في مختلف مجالاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية الفردية والجماعية، والدخل لحماية الأقليات المضطهدة، كما كان لها أثر في إحداث التحولات في كثير من المجتمعات. إلا أن أهم المؤاخذات عليها أنها تسعى إلى تثبيت إيديولوجيات النظام العالمي وثوابته المعرفية والفكرية والتمكين لكونية الفكر السياسي الدولي المتحكم في رقاب الدول والشعوب دون مراعاة لخصوصيات المجتمعات في معتقداتها وتشريعاتها، كما وظفت توظيفا مزدوجا من قبل صانعي القرار الدولي لابتزاز الأنظمة والحكومات الضعيفة وتشويه المخالفين في الساحة الدولية.

### رابعا - مستجدات الواقع الدولي:

رغم أن واقع السياسات الدولية تحكمه ثوابت شبه قارة إلا أنها مع ذلك تخضع لسنة التطور والتجدد وسنة التداول؟ لذلك يلاحظ بروز طائفة من الظواهر بدأت تطبع الواقع الدولي بسمات جديدة منها:

#### أ– عولمة المشكلات والقضايا التي تواجهها

**الجموع البشرية:** مثل الحروب المحلية، والحروب الإلكترونية، والفقر والتخلف والتلوث البيئي والتزايد السكاني وغيرها كثير، حيث لم تعد نتائج هذه المشكلات تقتصر على دولة محددة أو مجموعة دول، وإنما يتعدى ذلك إلى دول أخرى بعيدة جغرافيا.

● تراجع مكانة الدولة في العلاقات الدولية بفعل مجموعة من التحديات أبرزها:

– بروز فاعلين أقوياء في شبكة التفاعلات الدولية: الشركات المتعددة الجنسية، المنظمات الإقليمية والدولية، المنظمات غير الحكومية، والمنظمات السياسية والاقتصادية والإعلامية والبيئية العابرة للحدود...

– التحول في سلوك المنظمات الدولية، فقد كانت المنظمات الدولية في السابق عبارة عن مؤسسات تابعة للدولة القومية، أما الآن فقد غدا للمنظمات الدولية وجود متميز ومستقل عن إرادات الدول المنشئة أو الحاضنة لها. وليس أدل على ذلك من إعلان الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 1991م الذي أيد التدخل الإنساني من دون طلب أو حتى موافقة الدولة المعنية كما حدث من استخدام القوة لمصلحة "السكان المدنيين" في الصومال.

– التحول الكبير الذي طرأ على مفهوم السيادة للدولة القومية، حيث أنهت الاختراقاتُ الثقافية والإعلامية لتكنولوجيا المعلومات الوظيفة الاتصالية للدولة، ما جعل من نظرية سيادة الدولة نظرية تكاد تكون خالية من المضمون.

وقد شكل غياب التضامن القومي وتشتت ولاء المجتمع الداخلي للدولة أحد المحددات الرئيسة في حركة الدولة على الصعيد الخارجي وبالتالي بروز فاعلين آخرين على الساحة الدولية.

– تزايد الأصوات الرافضة للتحكم الدولي في صورته الحالية، والرافضة لمآلات سياسات دوله الكبرى في الهيمنة الدولية والتحكم في المجال العلمي والتقني والاقتصادي والثقافي والتدخل المباشر في النزاعات والمعايرة بمكياليْن.

#### ب– خفوت تأثير النخب السياسية التقليدية

وظهور التيارات الشعبوية، وتأثير مواقع التواصل الاجتماعي التي خرجت في الظاهر عن الصورة التقليدية للأحزاب والبنية السياسية لمفهوم الدولة والحزب، وأصبحت هذه الظاهرة تؤثر بشكل ما في توجهات السياسات المحلية والعالمية معا وتزحزح عن الحكم كيانات تاريخية وتخرج الديمقراطية إلى نتائج لا ترضي المؤسسات التقليدية الفاعلة (نموذج ترامب، وفرنسا، وبريطانيا، ....).

#### ج– الحرب على الإرهاب:

أصبح الواقع الدولي في نهاية القرن الماضي وبداية الحالي يشهد نمو ظاهرة الإرهاب السياسي المنظم من قبل توجهات سياسية تعددت أسباب وجودها ونموها، وتوسعت الظاهرة (إرهاب ديني/ سياسي/ اقتصادي، محلي/ دولي، مادي/ إلكتروني...) وتعدت حدود الدولة الوطنية إلى التأثير في المحيط الإقليمي والدولي معا. وأصبح الإرهاب بجميع أنواعه وأحجامه مؤثرا في واقع العلاقات الدولية وإفرازاته وسواء أساهمت الدول الكبرى في تغذيته بسلوكات الظلم والهيمنة أم بتمويلها واستغلال منظماته في تحقيق أهدافها في توجيه السياسات الداخلية والخارجية للدول الصغار والتأثير في التحالفات الإقليمية والدولية وتوجيهها فيبقى الإرهاب الدولي واقعا يطبع العلاقات الدولية ويؤثر أحيانا في تغيير الخرائط السياسية وتغيير موازين القوة والتأثير على حالتي السلم والحرب...

ويعتبر العالم الإسلامي أكبر متضرر من الاستخدامات السيئة والمغرضة لهذا المفهوم.

وإن الاتهام بالإرهاب كاف لإسقاط نظام قائم بذاته وإلغاء الانتخابات ولو كانت نزيهة وتغيير والحكومات، وإبعاد تيارات وحركات وأحزاب ذات مصداقية شعبية في أوطانها بله الأفراد والمجموعات صغيرة، أو إدامة الصراع والتنافس الدولي.

#### د– عودة التعددية القطبية

في الواقع الجديد الذي ظلت تقوده الولايات المتحدة الأمريكية لوحدها منذ سقوط الاتحاد السوفييتي، فبدأت تظهر على المسرح الدولي قُوىً دولية جديدة كالصين واليابان ونمور شرق آسيا، والهند ومؤسسات مالية جديدة قد يكون لها تأثير في الواقع الدولي المستقبلي القريب أو البعيد.

### خامسا- من عيوب النظام الدول المعاصر ونقائصه:

ظل الواقع الدولي الذي تحكمت فيه المركزية الغربية ومصالحه الإيديولوجية والاقتصادية والعسكرية تشوبه عيوب كثيرة؛ بعضها مزمن وبعضها عارض، وبعضها بنيوي، وبعضها سطحي، ومن أبرزها ما يلي:

– إفلات الدول الدائمة العضوية وحلفائها من العقاب، مع العلم أن أكبر الجرائم التي تستحق اسم جرائم حرب ضد الإنسانية وأكبر انتهاكات حقوق الإنسان تصدر من جهة هذه الدول وحلفائها.

– الإفراط في استعمال القوة بجميع أنواعها وأعلى صورها القوة المادية والعسكرية في تدمير المخالفين والقضاء عليهم.

– التحكم المطلق في الأسرار العلمية القمينة بإنقاذ الدول والشعوب من تخلفها وجهلها وأمراضها، إذ لا يزال العمل بالتقسيم الدولي للشغل ساريا المفعول وسيفا مُصْلَتاً على رقاب الدول، وبسبب ذلك تحرم الدول من حقها في البحث العلمي في النوويات وأشباهها ولو لأغراض سلمية وإنسانية.

– تغليب مصلحة الكبار في كل العلاقات الدولية السلمية والحربية.

– التدخل السافر في الشؤون الداخلية للبلدان الضعيفة بدءا من إقامة الأنظمة إلى تزكية ومباركة الأحزاب والنقابات وجمعيات المجتمع المدني إلى تحديد طبيعة النظام الاقتصادي والتعليمي والإعلامي وغير ذلك.

– القضاء على خصوصيات الأفراد والجماعات والدول في العيش وفق شروطها الذاتية ومقوماتها الحضارية، وتفكيك الهوية الواحدة إلى تعددية واختلاف (إديولوجي/ عرقي/ اقتصادي...)؛ مما جعل كثيرا من الدول والشعوب تعاني من ضمور خصوصياتها وانقراض هويتها وذوبانها في تيار العولمة الجارف وتحكم الأقوياء...

– مساندة فساد الأنظمة الحاكمة والحكومات والمنظمات الدولية ما دامت تخدم مصلحة الكبار.

– المعاملة بمكياليْن: في مسائل عديدة كحق تقرير المصير، والأقليات، والديمقراطية والاستبداد، وفي التقارير الدولية عن حقوق الإنسان اتهاما وإشادة...

– اختلاق الأزمات وافتعال المشكلات وإشعال حروب بالوكالة مما يجعل الخاسر الأكبر هو الدول الضعيفة.

– التحكم في ثروات البلاد المادية والبشرية؛ أحيانا عبر عقود ومعاهدات مجحفة أو عبر إملاءات أحيانا أخرى.

– التحكم في تشكيل الحكومات والأنظمة المحالفة للفاعلين الدوليين الكبار.

– تشكيل تحالفات إقليمية ودولية غايتها محاربة التوجهات الإسلامية.

– تشجيع التوجهات الدائرة في فلك المركزية الغربية علمانية وتبشيرية واقتصادية ...

### خاتمة: خلاصات ونتائج

يتبين مما سبق أن النظام الدولي الذي تشكل منذ قرون سابقة ظل نظاما تحكمه بعض القواعد والمحكمات الثابتة التي وجهت سياساته نحو القوة والهيمنة وسن قوانين تضمن مصلحة الكبار، وأحدثت اختلالات في نظام العلاقات بين البشر، كان أسوؤها الحروب المدمرة، والتدخلات المباشرة وغير المباشرة.

وإن تأثيراته على البشرية ظلت على الدوام سلبية وفيها ظلم كبير في حق الشعوب والدول.

ولما كنا أمام واقع بشري تحكمه النسبية والتغير وتتفاوت فيه موازين القوة بحسب قوة الفعل البشري والإرادة فإن هذا النظام ليس قدرا مقدورا وليس حتما لازما، وإن بقاءه وزواله يخضع لسنن الله تعالى في تداول الأيام والدول كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (آل عمران: 140)، وينبئنا التاريخ وسننه أنه لم يكتب لواقع دولي الثبات والخلود.

وإن فقه الواقع وَفْق الرؤية القرآنية لمفهوم الحياة وسننها في التدافع وإقامة الدين والعمل به، وإقامة العدل في الأرض من شأنه أن يصلح ما فسد في واقعنا الدولي.

كما يتبين مما سبق أن الواقع الدولي في صورته التقليدية وفي صورته الجديدة يسير في اتجاه معاكس لإرادة الشعوب الضعيفة ولطموحاتها التحررية من الجهل والفقر والتبعية الذليلة. لكونه نظاما نشأ في أحضان القوة والهيمنة وتضخم المركزية الغربية ونفي الآخر، والتمرد على الله تعالى أولا وعلى شريعته ثانيا، تلك القوة وذلك التمرد هما اللذان نتج عنهما كل مظاهر الفساد في هذا الواقع؛ فساد في قوانينه ومؤسساته وفي معاهداته، وفي علاقاته المبنية على الظلم وتغليب مصلحة الأقوياء، عقديا وسياسيا واقتصاديا..

**الطيب بن المختار الوزاني**

# مراكز الدراسات والأبحاث.. ودورها في صناعة القرار السياسي

هناك 1828 مركزاً بحثياً في أمريكا و426 في الصين و287 في بريطانيا.

يوجد 3 أنواع لمراكز البحوث: حكومية ونصف حكومية ومستقلة.

في النموذج العلمي لمراكز البحوث تنحسر الفردية في اتخاذ القرارات ويحل محلها التفكير العلمي الجماعي.

من وسائل تأثير مراكز البحوث الأنشطة العلمية والحلقات البحثية ووسائل الإعلام والنشاط العام والنشر العلمي.

كلما زادت قيمة الفكرة زادت العناية بمراكز الأبحاث والدراسات لأنها منبع الأفكار ومستودعها

نظراً لما تمتلكه مراكز الدراسات والبحوث أو ما يطلق عليه مخازن التفكير (Think Tanks) من معارف دقيقة ومتخصصة، فإنها تؤدي أدواراً كبيرة في صنع السياسة العامة؛ لأن المعرفة المتخصصة التي تقدمها هذه المراكز من خلال الأنشطة العلمية المختلفة، تضاعف مستوى الوعي لدى صانع القرار والمؤسسات والأفراد، وتساعدهم على الربط بين الوقائع الميدانية وإطارها العلمي النظري، لذلك تهتم الدول الكبرى بإنشاء ودعم مراكز الأبحاث.

وحسب الإحصائيات في عام 2015م، فهناك 1828 مركزاً بحثياً في الولايات المتحدة الأمريكية، و426 في الصين، و287 في بريطانيا، تقوم هذه المراكز بإجراء تقييم شامل للسياسات السابقة بهدف معرفة جوانب القوى فيها لتعزيزها، وعلاج جوانب الضعف والقصور فيها، كما أنها تطرح آراء وأفكاراً جديدة وتقترح السياسات البديلة، وتدرس الآثار البعيدة المدى جراء اتخاذ سياسات معينة، سواء كانت هذه الآثار إيجابية أو سلبية(1).

والقرار السياسي هو كل قرار صادر عن شخص ذي صفة سياسية يمس شأناً من شؤون الدولة العامة، أو يتعلق باحتياجات أفرادها.

وفي هذا الصدد، يوجد أربعة نماذج لصناعة القرار، هي(2):

1 - **النموذج الفردي:** الذي يصدر فيه القرار عن قيادة فردية، ويمثلها النظم الدكتاتورية.

2 - **النموذج الحزبي العقائدي:** الذي تتجاهل فيه القيادة السياسية وأصحاب القرار السياسي المتغيرات المحلية والعالمية في مقابل التمسك بقوالب ثابتة في إصدار القرارات.

3 - **النموذج البيروقراطي:** ويعتمد فيه صانع القرار على مؤسسات بيروقراطية، وتحليلات وتفسيرات مشوهة، وبالتالي بدائل خاطئة وذلك بسبب رغبة قادة هذه المؤسسات البيروقراطية في إرضاء الرؤية الذاتية لصانع القرار -والمعروفة لديهم سلفاً- بقصد التقرب منه وانتزاع أكبر قدر من اختصاص الآخرين.

4 - **النموذج العلمي:** ويتبع فيه صانع القرار خطوات المنهج العلمي في بناء القرارات والبدائل من خلال كوادر علمية ومتخصصة في كافة المجالات والتخصصات التي تخص شأن القرار السياسي في الدولة.

وهذا النمط الأخير هو الذي تؤدي فيه مراكز البحوث والدراسات أدوارها البارزة وتظهر فيها نتائجها الملموسة؛ حيث تنحسر الفردية في اتخاذ القرارات ويحل محلها التفكير العلمي الجماعي الذي يتوافر في مراكز والبحوث والدراسات.

وبصفة عامة، فإن مراكز الدراسات والبحوث التي تختص بالجانب السياسي للدولة من خلال دراسات الأمن القومي والإستراتيجية الدولية والاقتصادية والعلاقات الدولية والمستقبلية.

ومن حيث التحديد المنهجي لعملية صنع القرار، فإنها تلك العملية التي تعنى بتحديد السلوك السياسي للدولة في المواقف المختلفة، كما أنها تحدد السلوك السياسي أو ردود الأفعال المنتظرة من الدول في المواقف الطارئة التي تواجهها، وتمر عملية صنع القرار في أي دولة بثلاث مراحل رئيسة، «وتتم فيها صناعة قرار ما»، هذه المراحل هي: مرحلة ما قبل القرار؛ وهي المرحلة الفكرية التي تمثل الإعداد الفكري والعلمي والمعرفي للقرار، ومرحلة ما بعد اتخاذ القرار؛ وهي المرحلة التنظيمية التي يتم فيها إعلان القرار، ومرحلة ما بعد القرار أو المرحلة السياسية.

وتقوم مراكز البحوث والدراسات فيما يتعلق بالمرحلة الفكرية (إعداد وتهيئة الدراسات والمعارف والمعلومات التي تقدم لصانع القرار) بعدد من الواجبات المعرفية والثقافية ذات الطبيعة السياسية، التي تمثل إدراك أهم المتغيرات التي تؤثر على بناء القرار وصناعته، وهذه المتغيرات هي(3):

1 - البيئة الخارجية: بكل أبعادها وحقائقها وضغوطها ومؤثراتها، وجوانب التداخل والتفاعل فيها.

2 - البيئة الداخلية للقرار، وتتكون من المتغيرات والأوضاع الاجتماعية السائدة، وكذلك الأوضاع الاقتصادية والسياسية الداخلية للدولة، وجماعات الضغط، والأحزاب، والإمكانات الذاتية

للدولة، وحالة المجتمع ودرجة تماسكه.. إلخ.

3 - الضغوط التي تمارس بشأن اتخاذ القرار في موضوع ما، إذ بدون هذه الضغوط تنتفي الحاجة إلى اتخاذ القرار أصلاً.

4 - الهيكل التنظيمي للسياسة الخارجية للدولة التي تقوم باتخاذ القرار لا سيما فيما يتعلق بالعلاقات الخارجية والشأن الدولي.

5 - القيم والمعتقدات التي تهيمن على منهجية تفكير واضع القرار واتجاهات نظام القيم لديه.

6 - كفاءة نظام المعلومات أو دقته، ومدى توافر الموضوعية والمهنية والسرعة في الحصول على المعلومات وتوفيرها لصانع القرار.

## خطوات صنع القرار:

هذه المراكز تمارس دورها في التأثير على صناع القرار، أو صياغة السياسات العامة من خلال عدة أشكال أو وسائل بعضها مباشر وبعضها غير مباشر، بعضها يكون له تأثيره على المدى البعيد، وبعضها يكون تأثيره على المدى القصير، مثل(4):

1 - **الأنشطة العلمية التفاعلية:** (عقد المؤتمرات، الندوات ورش العمل حول قضايا تقع ضمن القرار السياسي سواء في الحاضر أو المستقبل).

2 - **الحلقات البحثية أو اللقاءات المغلقة:** وعادة تكون هذه الحلقات بين كبار المسؤولين أو صناع القرار مع فريق من الخبراء المكلفين بإعداد دراسات معينة تتعلق بقضايا بعينها أو إعداد سياسات عامة.

3 - **وسائل الإعلام:** من خلال اللقاءات التي تجريها وسائل الإعلام مع خبراء وعاملين في مراكز الدراسات والبحوث للاطلاع على آرائهم وتحليلهم العلمي للقضايا السياسية المختلفة.

4 - **المشاركة في النشاط العام** (مشاركة الخبراء في الأنشطة العامة عن طريق إلقاء محاضرات أو ندوات جامعية أو في الساحات الثقافية).

5 - **النشر العلمي** والمؤلفات العلمية والدوريات المتخصصة.

## الكيان الصهيوني:

إن الفارق الواقع بين مكان ومكانة مراكز الأبحاث والدراسات العربية والصهيونية، ليس مرده إلى الإمكانات المادية أو البشرية، وإنما مرده إلى عاملين أساسيين:

الأول: طبيعة النظام الحاكم وطبيعة علاقات مؤسسات الدولة بصانع القرار.

والعامل الثاني: طبيعة النظر إلى «الفكرة» وقيمة «الأفكار» وعلاقتها بحركة المجتمع، وهي علاقة طردية في المكان أو المكانة لمراكز الأبحاث والدراسات في المجتمعات بصفة عامة، فكلما زادت قيمة «الفكرة» و«الأفكار» زادت العناية بمراكز الأبحاث والدراسات، لأنها منبع الأفكار ومستودعها، وبينما تعاني «الفكرة» و«الأفكار» في عالمنا العربي، وبعضها تراجع لمكانة مراكز الأبحاث والدراسات وبالتالي دورها في صياغة القرار السياسي -بصفة خاصة- ودورها في المجتمع بصفة عامة.

والمراقب يلاحظ تضاؤل الاهتمام بهذه المراكز في الواقع العربي ليس بسبب غياب الكفاءة العربية، أو الإعداد العلمي، وإنما يرجع إلى طبيعة النظم السياسية الحاكمة التي لا تولي «الفكرة» أو «العملية» قيمة في حركتها السياسية ونشاطها داخل الدولة أو خارجها.

إن الدور الذي اضطلعت به المراكز البحثية في الوطن العربي، مختلفٌ عمّا هو عليه الأمر في الغرب؛ وذلك بسبب المعيقات والمصاعب والتحديات التي تواجهها، ولأنّها لم تتبوّأ مكانها الحقيقي، ولم تمارس دورها الحيوي في المشاركة في صنع القرار أو في تقديم ما يلزم من مشورة ومن دراسات رصينة، وبدا دور معظمها «باهتاً» وغير فاعل في عملية التنمية المجتمعية بكافة أبعادها، ليس بسبب عجزها عن أداء هذا الدور؛ بل بسبب المعوّقات الكثيرة التي تحيط بها، وعدم تكليفها بهذه المهام بحكم طبيعة الحياة السياسية العربية وطبيعة أنظمتها وبُعدها عن العمل المؤسَّسي المعمول به في الولايات المتّحدة والغرب(5).

## مشكلات مراكز الأبحاث والدراسات:

تعاني مراكز الأبحاث والدراسات في العالم العربي من مجموعة من الإشكالات، أهمها(6):

1 - ضعف ثقافة التأسيس المنهجي لدى الكثير من المسؤولين والإدارة العليا.

2 - الحذر المفرط من الانفتاح بسهولة على الأفكار الجديدة، القادمة من خارج محيط الإشراف والإدارة المباشرة للمسؤولين وصناع القرار.

3 - غياب وجود «قواعد بيانات عربية إلكترونية» تشكل مصدراً أساسياً لإعداد الدراسات والأبحاث العلمية.

4 - ضعف الشراكة التفاعلية بين مراكز الأبحاث والدراسات الخاصة والمستقلة مع مختلف القطاعات الحكومية، بما فيها المؤسسة السياسية.

5 - ضعف الإمكانيات والقدرات التسويقية للإنتاج المعرفي والنشر العلمي الذي يصدر عن بعض مراكز الأبحاث والدراسات العربية.

6 - ارتباط مراكز الأبحاث والدراسات بوظائف غير علمية، كأن تكون «غطاء للعمل السياسي» من قبل بعض صناع القرار، أو كمؤسسات وظيفتها التبرير للسلطة قراراتها السياسية.

وبينما تتراجع وظائف مراكز الأبحاث والدراسات فيما يتعلق بصناعة القرار السياسي العربي، نجد أن هذه المراكز تزدهر في أداء تلك الوظيفة لدى الكيان الصهيوني، وتعتبر من أهم روافد صناعة القرار السياسي لديه، ففي دراسة بعنوان «عقل العدو» أشارت إلى عشرات المراكز التي تردف صانع القرار بالمعلومات والآراء والأفكار بما يفيد في صناعة التوجهات الخاصة بالدولة وتحديد مواقفها السياسية الخارجية والداخلية في ضوء نتائج بحوث ودراسات هذه المراكز.

وصنفت الدراسة هذه المراكز في أربعة اتجاهات بحثية أساسية، هي(7):

1 - مراكز تعنى بالشؤون الداخلية لدولة الاحتلال «الإسرائيلي»، مثل: «المعهد الإسرائيلي للديمقراطية»، «مركز طاوب»، مركز «غوطمان» للاستطلاعات، مركز «أدفاه»، معهد «فلورسهايمر»، «مركز الأبحاث والمعلومات» التابع لـ«الكنيست».

2 - مراكز تعنى بالأمن الإستراتيجي للعدو «الإسرائيلي»، مثل «معهد السياسات الإستراتيجية هرتسليا»، «معهد دراسات الأمن القومي» (جامعة حيفا)، «معهد أبحاث الأمن القومي»، «معهد الإستراتيجية الصهيونية».

3 - مراكز تعنى بمجتمع الاحتلال «الإسرائيلي» والفلسطينيين داخل دولة الاحتلال، مثل: معهد «فان لير» في القدس، «المركز اليهودي العربي» (جامعة حيفا)، مركز «جفعات حبيبة».

4 - مراكز تعنى بدراسة دولة الاحتلال والشرق الأوسط وأفريقيا، مثل مركز «موشيه ديان»، «مركز القدس لدراسات إسرائيل»، ومركز «شاليم»، «مركز القدس للشؤون العامة»، مركز «طرومان».

وقد بلغت نسبة إنفاق الاحتلال الصهيوني على مراكز الأبحاث 4.3% من إجمالي ناتجه المحلي وهو ما يفوق الدول العربية مجتمعة(8).

---

1 - سامي الخزندار - طارق الأسعد، مجلة دفاتر السياسة والقانون، عمان، العدد 6، 2012.

2 - انظر: حول مضمون ومفهوم القرار السياسي http://www.alanba.com.kw/ar/kuwait-2016-12-14/news/706065:

3 - أنس حسن حميد: «دور المراكز البحثية في صنع القرار السياسي: الولايات المتحدة الأمريكية نموذجاً»، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، 2015، ص12، العدد 50، نقلاً عن: مازن إسماعيل الرمضاني: في عملية اتخاذ القرار السياسي الخارجي.

4 - سامي الخزندار - طارق الأسعد، مجلة دفاتر السياسة والقانون، عمان، العدد 6، 2012.

5 - انظر: المصانع المفقودة.. مراكز الفكر العربية ودورها في صناعة القرار، المركز الوطني لدعم القرار. http://www.npdc.gov.ly/index.php?option=com_content&view=article&catid=9:2015&25-08-08-06-11-id=9185:2017-Itemid=116&52-08-10-29-01

6 - سامي الخزندار، طارق الأسعد، مرجع سابق.

7 - محمد عيد: عقل العدو.. دور مراكز الدراسات الإستراتيجية في عملية اتخاذ القرار «الإسرائيلي»، مركز البديل للتخطيط والدراسات الإستراتيجية. http://2016/10/18/pss.elbadil.com/

8 - انظر: العالم يتجه لزيادة ميزانيات البحث العلمي.. والعرب ينفقون على رواتب الموظفين.

د. حسان عبدالله حسان

# مأساة الشرود عن منهج "الله يرانا"

مأساة الشرود عن منهج "الله يرانا":

لست أدري إن كان هذا الجيل يعرف أن هذه العبارة الجامعة والهادفة هي عنوان درس من دروس مادة المحادثة في التعليم الابتدائي في الستينات والسبعينات من القرن الماضي، والتي حذفت بعد ذلك من المقرر الدراسي مثلما حذفت مواد ومقررات أخرى هادفة تجمع بين تلقين المعرفة والتربية بالقدوة الحسنة، وتستهدف تحصين الناشئة وتقوية مناعتهم الفكرية والخلقية؛

لست أدري إن كان جيل الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي وجيل القرن الواحد والعشرين / الجيل الذي أغواه مارد "الشبكة العنكبوتية"، هل كان يعلم أن عبارة "الله يرانا" عنوان لقصة مؤداها أن أبا دعا ابنه ليصحبه إلى بستان ليسرق منه فاكهة، فلما وصلا البستان أمر الأب ابنه أن يراقب الفضاء، فإذا ما أحس بأحد أشعره، وما إن دخل الأب إلى البستان حتى نادى الابن أباه: أبي هناك من يرانا، فلما نظر الأب يمنة ويسرة لم ير أحدا، فقال لابنه: لم أر أحدا يا بني، فأجابه الابن الصغير: إن لم يكن أحد من الناس يرانا فالله يرانا؛

كان المدرس يسرد علينا هذه القصة، ونحن يومئذ صغار، فكنا نتأثر بهذا الحوار اللطيف بين صغير بطل يحث على الخير، في مواجهة كبير مجبول على الشر؛

ثم ما لبث المدرس القاص أن اقتبس لقطة بهية من سيرة عمر رضي الله عنه، تبين أنها الأصل الذي استوحى منه واضع البرنامج هذه القصة، إنها قصة بائعة اللبن المشهورة زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد حكى لنا أن بائعة اللبن هذه دعت ابنتها بالليل أن تمزج اللبن بالماء، وكان عمر وهو يتفقد رعيته يسمع حوارهما، فقالت لها البنت: "يا أماه أما علمت أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب نهى عن ذلك، قالت الأم: يا ابنتاه قومي إلى اللبن فامزجيه بالماء فإن عمر لا يرانا. قالت الفتاة: يا أماه إن كان عمر لا يرانا، فإن رب عمر يرانا"، وفي رواية أخرى: "فقالت الصبية لأمها: يا أمتاه والله ما كنت لأطيعه في الملأ واعصيه في الخلاء"؛ ثم حكى مآل هذا الحوار الذي كنا نتتبعه يومئذ بلهفة وشوق: "فدعا عمر رضي الله عنه أولاده و قص عليهم الأمر ثم قال: هل فيكم من يحتاج إلى امرأة فأزوجه؟ و لو كان لأبيكم قوة إلى النساء ما سبقه منكم أحد إلى هذه الفتاة.

فقال عبد الله: لي زوجة.

و قال عبد الرحمن: لي زوجة.

و قال عاصم: يا أبي لا زوجة لي فزوجني.

فتزوجها عاصم فولدت لعاصم بنتا فكانت أما لعمر بن عبد العزيز رحمه الله أعدل بني مروان و خامس الخلفاء الراشدين".

لم تكن لنا يومئذ القدرة على التحليل والاستنباط حتى ندرك مقاصد القصة، ونستوعب الرسائل التي تحملها؛ كل ما في الأمر أننا كنا نتقمص بحماس منقطع النظير شخصية بطل القصة، وكنا نلهج في حلنا وترحالنا مع من نصادفه من الكبار بعبارة: "الله يرانا"؛ وما كنا نعلم ما بدأنا نعلمه اليوم من أن صغارا ممن تشربوا المغزى التربوي لهذه القصة سيفلحون -وهم صغار- في تهذيب سلوك آبائهم المبتلين ببعض الرذائل كالمخدرات والتدخين وترك الصلاة وما إليها فاستقام سلوكهم على أيديهم، وما كنا ندرك أن بنات قد أفلحن في توجيه أمهاتهن فأقلعن عن التبرج السافر، وتحلين بالحجاب الباهر.

ما كنا قادرين يومئذ أن ندرك أن هذه القصة على وجازتها وبساطتها هي النواة الخلقية للمراقبة الذاتية التي ستكبر مع الطفل وتكبر معه المراقبة الذاتية، فيصير الشخصية المسؤولة الناجحة في الوظيفة التي سيتقلدها دون حاجة لمن يراقبه، مربيا أو طبيبا أو مهندسا أو حرفيا أو مديرا أو رئيسا... فلا يحتاج لمسؤول أو وزير ليراقبه، فالله يراه.

ما كنا ندرك أن هذه النواة الخلقية هي التي ستصنع في المدرس الوازع المهني فيؤدي مهمة التدريس على الوجه المطلوب، فلا يقصر أو يتهاون أو يستهتر في أداء واجبه. وها نحن ندرك اليوم أن آفة الغش التي سرت في الوسط الطلابي إن هي إلا بسبب افتقار هذا الجيل لهذا اللقاح التربوي العاصم والمحصن.

لم تكن عندنا يومئذ القدرة على التحليل حتى ندرك ما بدأنا ندركه اليوم ونحن نتأمل القصة لنستخرج منها ما يلي:

1 - عبقرية واضعي البرامج حين اختاروا الطفل الصغير بطلا للقصة: الابن البريء في مواجهة أبيه المتأهب للسرقة، والبنت البريئة في مواجهة أمها المتأهبة لبخس اللبن، وبما أن البطل الصغير في الحالتين عنصر خير فقد صار قدوة لكل متعلم صغير، والكل يريد أن يتقمص شخصية البطل الخيِّر وهو يحارب الشر لهذا الاعتبار؛

2 - أخذ القصة من الواقع ثم التأصيل لها من تراث السلف الصالح رسالة واضحة في تربية الناشئة منذ هذه السن المبكرة على التشبث بالهوية الحضارية، وربط الماضي بالحاضر، وذاك مقصد تربوي سام؛

3 - كانت القصة مغرية بنتيجتها، موجهة بمآلها، إذ كانت خيرية البنت/ البطلة سببا في زواجها من ابن أمير المؤمنين الخليفة الثاني الراشد، ثم يكون لها حفيدا الخليفة الخامس الراشد عمر بن العزيز؛ وهذا مغزى عظيم في كون الجزاء من جنس العمل، وهو حافز للصغار على الإقدام على الخير، والإدبار عن الشر.

4 - لم تكن عندنا يومئذ القدرة على الاستنباط والمقارنة حتى نوازن بين برامجنا الدراسية أمس على هذا النحو وهي هادفة تربويا وخلقيا، وبين برامجنا اليوم وقد أزيلت أو كادت منها المواد الهادفة والمقررات الملتزمة، وجففت أو تكاد من القيم التربوية، ومالت أو كادت إلى التغريب بدل التأصيل.

واليوم وقد بلغ السيل الزبى، وأتى الوادي فطمّ على القريّ، هل كان سيحصل ما يشاهد اليوم من المآسي الاجتماعية والاقتصادية والخلقية لو أن هذا الجيل تربى منذ الصغر تحت شعار "الله يرانا" وتشرب مقاصده، هل كنا سنسمع عن الفساد المالي والإداري واقتصاد الريع ونهب المال العام لو أن من تسول له نفسه ذاك تخرج من مدرسة "الله يرانا"؟

هل كان غش الطلاب وغش المدرسين سيستشري إلى هذا الحد؟

وهل السرقات العلمية ستستفحل إلى هذا المدى؟

وهل كانت العلاقات التربوية ستهتز بما سادها اليوم من انحلال وتفسخ وقد هُجر الحياء، وما ترتب عن ذلك من تفشي ظاهرة العنف والاعتداءات المتكررة؟

هل كانت كل المآسي الخلقية ستحصل في القطاع التعليمي لو أن في البرامج التعليمية نصوصا هادفة من طينة "الله يرانا".

ولو أن شعار "الله يرانا" صار الشعار الذي يردده الإعلام والذي توضع له اللافتات في الشوارع، ولو أن شعار "الله يرانا" كان الشعار السائد في الوسط التعليمي والاجتماعي والإعلامي ما ساد فساد ولا راج انحراف، وما سولت النفس للمفسد أن يمد يده إلى المال العام، ولا للغاش أن يفكر في الغش، ولا للسارق أن يهم بالسرقة، ولا للمسؤول والموظف والحرفي أن يتهاون أو يستهتر أو يخل بالواجب...

إنها إذن مأساة برامجنا التعليمية، مأساة الشرود عن منهج "الله يرانا".

د. صالح أزوكاي

# تعريف بالحملة العالمية لإحياء المنهج النبوي في التعامل مع القرآن

## 1 - فكرتها:

استفراغ الوسع في إحياء منهج نبينا ﷺ في التعامل مع القرآن على كل المستويات، تعبداً وتعلماً وتعليماً، وصلاحاً وإصلاحاً.

## 2 - أهميتها:

لن يكون الناس في عصمة وأمان، من الضلال والشقاء والمخاوف والأحزان، إلا إذا اتبعوا القرآن ومنهجية نبينا العدنان؛ وخصوصاً في التعامل مع القرآن؛ قال تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ (طه: 123)، وقال سبحانه: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: 38)، وأجمع المفسرون على أن (الهدى) هنا رسالة ورسول.

ولن يعود للأمة مجدها، إلا إذا عادت لمنهاج نبيها، وخصوصاً في أمر التعامل مع القرآن؛ لأن نبينا ﷺ قد أخبر أن (منهاج النبوة) هو شرط عودة الخلافة والمجد ومقياس صلاحها، فقال ﷺ: «ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ» (مسند أحمد (18430) وحسنه الأرنؤوط، وحسنه الألباني في الصَّحيحَة (5)).

وبما أن تَعَلُّم القرآن وتعليمه عبادة من أفضل العبادات إذا تم القيام به على مراد الله، فإنه يشترط لقبوله عند الله والحصول على الأجر والأثر الكامل المترتب عليه، أن يكون خالصاً لله على منهج رسول الله ﷺ أو بعبارة أخرى (سداد النية، وسداد المنهجية). وأي خلل في النية أو المنهجية يهدد القبول، كما يهدد الأجر والأثر المأمول.

ولقد قام المنهج النبوي في التعامل مع القرآن، على ثلاثة أركان رئيسية:

**الأول:** العناية بالمعاني والمباني معاً "الإيمان والقرآن".

**والثاني:** العناية بالمعاني أكثر من المباني وتقديمها على المباني "الإيمان قبل القرآن".

**والثالث:** العناية بالمعاني كانت "علماً وعملاً".

لكن واقعنا اليوم يحكي متألماً أن معظم الجهود منصرفة إلى المباني (الألفاظ) فقط؛ وإن شرَعْنَا في العناية بالمعاني يكون بعد الفراغ من القيام بحقوق المباني كاملة، ولا يعدو هذا الجهد أن يكون تفهيماً للمعاني أو بمعنى أدق (تحفيظاً لتفسيرها).

ولما كان من عادة الدول والمؤسسات أن تدشن حملات عالمية لما يهدد الأبدان، رأينا أن ما يهدد الإيمان وما يخص القرآن أولى، لذا قمنا بتدشين هذه الحملة العالمية، لإحياء المنهجية النبوية، وكلنا أمل أن يوفقنا الله لما يرضيه من العمل، وأن يعيننا على إصلاح الخلل.

لقد قال ﷺ لأصحابه ولمن تبعهم بإحسان: «أَلَا وَإِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَأُكَاثِرُ بِكُمُ الْأُمَمَ، فَلَا تُسَوِّدُوا وَجْهِي»، فهل سنكون عند حسن ظنه بنا؟ وهل يستهل أن نخالف منهجه بعد كل ما فعله لأجلنا؟

أخي! لا تسوِّد وجه حبيبكَ، وكُنْ عند حُسن ظنه بك، ولا تخالف منهجه ﷺ في التعامل مع القرآن، وكلما واجهتك صعوبات أو اعترضك عقبات؛ فتذكر قول حبيبك ﷺ: «اصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ».

## 3 - محاورها:

- محور الصلاح: إحياء المنهج النبوي في التعامل مع القرآن في النفس.
- محور الإصلاح: إحياء المنهج النبوي في التعامل مع القرآن في الغير.

## 4 - نطاقاتها:

- الإطار المفاهيمي: ويهدف إلى تسديد العقائد والمفاهيم، لتطابق ما جاء عن رسولنا الكريم.
- الإطار المهاري: ويهدف إلى التدريب على مهارات التفهم والتدبر والتخلق والتدارس والتعليم، انطلاقاً مما تعلمناه عن رسولنا الكريم.

## 5 - أبرز آلياتها:

1 - نشر مواد علمية مكتوبة ومسموعة ومرئية حول المنهج النبوي (المواد العلمية لمشروع القرآن علم وعمل وخصوصا كتاب [لا تسودوا وجهي])، وتجدونها مجاناً على صفحاتنا على الإنترنت.

2 - تثقيف شرائح المجتمع المختلفة حول المنهج النبوي في التعامل مع القرآن وضرورة إحيائه في النفس والغير، من خلال محاضرات ومقاطع إعلامية.

3 - تدريب شرائح المجتمع المختلفة على كيفية إحياء المنهج النبوي في التعامل مع القرآن في النفس والغير من خلال دورات تدريبية مكثفة.

4 - تدريب شرائح المجتمع المختلفة على عقد حلقات لتعليم التعامل مع القرآن كما كان النبي ﷺ يتعامل معه.

5 - إنشاء مؤسسات غير ربحية لتطبيق المنهج النبوي في التعامل مع القرآن والإسهام في إحيائه عملياً على أرض الواقع.

د. شريف طه يونس

# تجليات الحكمة في وصايا لقمان لابنه 1/ 2

إن من الشخصيات التاريخية التي خلد الله سبحانه وتعالى ذكرها في كتابه العزيز، ورفع قدرها، ونوه بها وأثنى عليها، وجعل في قصته العبرة للناس إلى يوم الدين، شخصية لقمان الحكيم، الذي حباه الله تعالى بأجل النعم، وأعظم العطايا والمنن، وهي نعمة الحكمة التي يقول الله تعالى في شأنها في سورة البقرة: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الآية: 268)، وإن من أعظم بركات هذه الحكمة على لقمان أن الله رفع بها ذكره إلى مقام النبيئين وإن لم يكن واحدا منهم على الراجح الصحيح، كما بينه الحافظ بن حجر في ترجمته له في فتح الباري بشرح صحيح البخاري في كتاب (أحاديث الأنبياء) باب (قول الله تعالى: ولقد آتينا لقمان الحكمة)، إذ يقول بعد أن ذكر اختلاف الناس في نسبه ومهنته ونبوته: "والأكثر أنه كان صالحا"، وذكر آثارا عن مجاهد وقتادة رحمهما الله تعالى في كونه كان صالحا ولم يكن نبيا، وقال: "ويقال: إن عكرمة تفرد بقوله كان نبيا". ومن أدلة رفعة الله للقمان أنه سبحانه وتعالى آثر ذكره وقصته على كثير من الأنبياء والمرسلين؛ إذ من المعلوم أن الله تعالى لم يقص علينا إلا خبر بعضهم لا جميعهم، كما قال تعالى في النساء: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ (الآية: 163). ومن أدلة رفعته أيضا أن الله قدجعل له سورة باسمه هي"سورة لقمان"؛ وليس في القرآن سورة تحمل اسم رجل إلا وهو نبي، وذلك على غرار سورة يونس، وسورة إبراهيم، وسورة يوسف، وسورة هود، وسورة محمد، وسورة نوح، إلا سورة لقمان فإن نسبتها لهذا العبد الصالح الذي أنعم الله عليه بالحكمة.

وليس الغرض في هذا المقال تطويل الكلام في بيان فضل لقمان أو فضل الحكمة، وإن كان فيما ذكر ما يفي بذلك، ولكن الغرض هنا هو الوقوف مع الآيات التي ذكرت وصايا لقمان لابنه، وما اشتملت عليه هذه الآيات من "الحكمة اللقمانية"، وهذه الآيات المقصودة تبدأ من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان: 12)، إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾(لقمان: 18)، مع استثناء الآيتين 14 و15 إذ هما من كلام الله تعالى وليستا حكاية لكلام لقمان كما بين ذلك القرطبي في تفسيره، فيكون مجموع الآيات موضوع المقال خمس آيات، فما هي تجليات الحكمة في هذه الآيات إذن؟.

أقول وبالله التوفيق:

**التجلي الأول:** في البدء بالأقربين: إن أول ما يلفت النظر في قصة لقمان، هو توجيه رحمه الله الحكمة لأقرب الناس إليه وأولاهم بها، وهو ابنه ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ﴾، وتحقق الحكمة في هذا المعنى ظاهر جلي، يؤيده قوله تعالى لنبيه ﷺ في سورة الشعراء: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الآية: 213)، فلا يبدأ بالأباعد ويترك الأقارب في البر من صفته الحكمة، وقد قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ (البقرة: 213) فبدأ بهم قبل غيرهم، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (التحريم: 06) والأهل في الآية يشمل الزوجة والأولاد، وقد ذكر الله حقهم بعد حق النفس مباشرة. والنصوص في هذا المعنى كثيرة.

**التجلي الثاني:** في استعمال الموعظة الحسنة في الدعوة ﴿وَهُوَ يَعِظُهُ﴾: ويدل على حسن هذه الموعظة نداء الرحمة والشفقة والحرص على المصلحة الذي أظهره لقمان لابنه بعبارة: ﴿يَا بُنَيَّ﴾، فإنها تلخص تلك المعاني المذكورة، ولا شك أن الموعظة الحسنة أوقع في نفس السامع، وأدعى لإجابة الدعوة؛ فإن النفوس مجبولة على حبّ من تلطف معها وتودد إليها وألان في الخطاب لها، كما هي مجبولة من النفور من غليظ القلب ذي الفظاظة، كما قال تعالى في آل عمران يخاطب النبي الكريم ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: 159). كما يدلك على اقتران الحكمة بالموعظة الحسنة قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ (النحل: 125) حيث جعل الله تعالى الموعظة الحسنة من مستلزمات الحكمة، وهذا من الظهور والجلاء في الواقع، ولا سيما عند المشتغلين بالدعوة بالمكان الذي لا يحتاج إلى الكثير من البيان.

**التجلي الثالث:** في ترتيب الأولويات في الخطاب، وتقديم الأهم فالأهم: وهذا واضح في وصايا لقمان لابنه حيث بدأه بأهم أمور الدين وهو بناء العقيدة الصحيحة القائمة على أساس التوحيد، وذلك من خلال نهيه عن الشرك ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان: 12)، مع تعليله النهي عن الشرك بأنه ظلم عظيم ليدرك الإبن خطورة هذا العمل ويكون منه على حذر ووجل، وهذا التعليل منه مع تقديم أمر التوحيد دليل على قوة حكمته وزيادة فطنته.

ثم لفت نظره بعد ذلك إلى حقيقة التوحيد وما الذي يجب أن يترتب على الإيمان بالله تعالى من آثار، فبدأ بأثر ذلك في القلب والباطن من خلال تنبيهه ابنه إلى مراقبة الله سبحانه وتعالى في السر كما في العلن، وذلك لإحاطة علم الله تعالى بكل شيء، وهو مقتضى ما تفيده الآيات: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان: 15)، أي يعلم دقائق الأمور فلا تخفى عليه خافية، مع ما في اختيار عبارة: (يَأْتِ بِهَا اللَّهُ) بدل (يعلمها الله) من زيادة تنبيه الإبن على أن ما وسعه علم الله تعالى فقد وسعته قدرته سواء بسواء، وأنه لا يحول بينه وبين الوصول إلى مخلوقاته بضر أو نفع شيء كائنا ما كان، فيزداد تعظيم الإبن لربه، وهذا لب التوحيد وأساس التقوى.

ثم أعقب ذلك بأثر التوحيد في الظاهر من خلال الأمر بالصلاة، التي هي أعظم تجليات العبودية لله والخضوع له عمليا ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾.

ثم بعد أن أرشده إلى حق الله تعالى أرشده إلى حق الناس، وأعظم حقوقهم هو أن يتم إرشادهم إلى الطريق الصحيح، من خلال نصحهم وتعريفهم بالله تعالى ونهيهم عما يجلب سخط الله عليهم وما يتبع ذلك من ضرر في معاشهم ومعادهم، فقال له: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (لقمان: 16).

ودليل هذه الحكمة ما أخرجه الشيخان من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى أهل اليمن قال له: "إنك تقدم قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم.." الحديث. فأرشد رضي الله عنه معاذ بن جبل إلى التدرج في الدعوة إلى الله تعالى بالإنتقال من الأهم إلى الأهم؛ فبدأه أولا بحق الله الأعظم وهو التوحيد، ثم أعقبه بدليله العملي الأعظم وهو الصلاة، ثم ثلّث ذلك بالزكاة التي هي حق الفقراء من الناس على الأغنياء منهم، وبهذا يظهر لك التماثل بين صنيع رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث وهو إمام الحكماء وصنيع لقمان الحكيم مع ابنه.

**التجلي الرابع:** في وفاء وصايا لقمان بأركان الدين الثلاثة: ونقصد بالأركان الثلاثة هنا: "ركن العقيدة"، و"ركن العبادة"، ويسميه البعض "ركن الشريعة"، ثم "ركن السلوك ومكارم الأخلاق"، وقوام الدين على هذه الأسس الثلاثة جميعا كما بينت ذلك آية البر من سورة البقرة، وهي الآية (176)، وتبدأ بقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ..﴾ الآية، ويمثل ركن العقيدة في وصية لقمان قوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان: 12)، وقوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان: 16) وقد تقدم هذا في التجلي الثاني، ويمثل ركن العبادة والشريعة قوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾، بينما يمثل ركن السلوك ومكارم الأخلاق قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (لقمان: 16–18)، حيث يشتمل ذلك على حب الخير للناس والحرص على مصلحتهم، والأمر بالصبر عليهم، والتواضع معهم وحسن السمت بينهم، وترك الكبر والفخر عليهم. وبذلك يكون لقمان قد ضمّن وصاياه لابنه جماع الخير كله مع وجازة العبارة والكلمة، وهذا في غاية الحكمة.

يتبع

ذ. عبد الناصر سلامة

# اللغة العربية لغة القرآن الكريم: مباني ومعاني

# 2 - أصالة الحرف في بناء دلالة الكلمة (12)

د. الحسين كنوان

| الكلمات الثنائية الحرفين الأولين | أحرفها ودلالاتها | مصادرها ومراجعها |
|---|---|---|
| 5 – أ – القبصة<br>ب – القبضة | قال: «وفي الإبدال لابن السكيت: يقال: القبصة أصغر من القبضة. قال في الجمهرة: القبص: الأخذ بأطراف الأنامل، والقبض: الأخذ بالكف كلّها.» | المزهر للسيوطي د 51/1 |

تتفق الكلمتان أعلاه في الحرفين الأولين القاف والباء، وتختلفان في الحرفين الأخيرين وهما الصاد المهملة في (5 – أ) والضاد المعجمة في آخر (5 – ب) هذا والحدث واحد وهو إمساك شيء ما باليد وهذا ما يعني اتفاق دلالتي الكلمتين في المجال الذي يثبته اتحادهما في الحرفين الأولين إلا أن دلالتي الكلمتين المتحدة في معناها العام الذي هو الإمساك تتفاوت من حيث قوة إمساكها لذلك الشئ. فالإمساك بالكف كلها غير الإمساك بأطراف الأصابع، ولذا خصِّص لكل كيف من الإمساك حرفه المحوري الذي يناسبه فختمت كلمة «قبص» بالصاد الرقيقة في نطقها لتناسب الإمساك بأطراف الأصابع، كما خصصت الضاد المعجمة للإمساك بالكف كلها، ولقد قال في النص أعلاه «القبصة أصغر من القبضة» وكلمة أصغر على وزن «أفْعل» التي تفيد التفاوت في درجة المعنى نقول هذا مع اتحاد الحرفين الأخيرين المحوريين في كلمتي «القبصة والقبضة» في شكلهما ولا يميز بينهما في النطق إلا الإعجام الذي هو إضافة النقطة للصاد المهملة لتصير ضادا معجمة. ومن صفات حرف الصاد أنه: مهموس +رخوة + منطبق + مستعل + صفير... الخ

ولما أضيفت له النقطة صار ضادا فكان من صفاته : رخوة + منطبق + مستعل. ولا شك أن هذه الصفات التي اتصف بها حرف الضاد قوية وهي التي ناسبت المسك باليد كلها، مقابل المسك بأطراف الأصابع الذي يُعبر عنه الصاد المهموس والرخو.. وهنا نلاحظ أن الإعجام والإهمال قيمة خلافية في الكلمات التي تحتمل هذا التنويع في متن اللغة العربية وهو ما ينبغي تخصيص بحث له لضبط معامله في متن اللغة العربية.

| الكلمات الثنائية الحرفين الأولين | أحرفها ودلالاتها | مراجعها ومصادرها |
|---|---|---|
| 6 – أ. أبّ<br>ب – أبت<br>ج – أبَد<br>د – أبر<br>ه – أبز<br>و – أبق<br>ز– أبل<br>ح – أبن<br>ط – أبه | [الهمزة مع الباء الموحدة] فإن مدلولها: النفور والبعد والانفصال بين الشيئين. انظر لفظ: أب وأبت، وأبد، وأبر، وأبز، وأبَق، وأبل، وأبن، وأبه. فإنك تجد في جميع هذه ذلك المدلول. | العالم الخفاق من علم الاشتقاق للقنوجي |

يلاحظ بخصوص هذه الأمثلة التسعة أن القنوجي حدد دلالاتها في النفور والبعد والانفصال بين الشيئين . ونعرض أمثلة من معاني هذه الكلمات لتأكيد المعنى العام الذي يجمع بينها – كما ذكره القنوجي أعلاه – أو تحويره إلى معنى آخر يطابقه أو يخالفه. ونعتمد في هذه الشروح تفسيرات ابن فارس مباشرة ولسان العرب ضمنيا.

بيد أننا نستثني الكلمة الأولى من هذه المجموعة التي هي (6 – أ – أبَّ) لأنها من باب المضاعف في المقاييس 6/1 وليست من باب الثلاثي الذي أوله همزة كما هو شأن بقية الأمثلة. وهذه المعاني مختصرة ومركزة كما يلي:

| المثال | شرحه ومعناه | المراجع |
|---|---|---|
| 6 – ب– أبت | «الهمزة والباء والتاء أصل واحد: [وهو الحرَّ وشدته] «وأبت بالكسر فهو أبِتٌ كله بمعنى اشتد حره» | مقاييس اللغة لابن فارس 23/1 ل ع 2/مادة أبت |
| 6 – ج– أبد | الهمزة والباء والدال [يدل بناؤها على طول المدة وعلى التوحش] وأبدت البهيمة ( توحشت) وتأبّد المنزل « أي اقفرّ ولفّته الوحوش...» | مقاييس اللغة لابن فارس 34/1 ل ع 3/مادة أبد |
| 6 – د – أبر | الهمزة والباء والراء: «يدل بناؤها على نخس الشيء بشئ محدد.» «ابن الأعرابي: أبَرَ إذا آذى،وأبَرَإذا اغتاب وأبر إذا لقح النخل...» | مقاييس اللغة لابن فارس 45/1 ل ع 4/مادة أبر |
| 6 – هـ أبَزَ | الهمزة والباء والزاء يدل على (القلق والسرعة وقلة الاستقرار) و«أبز الظبي: «وَثَبَ وقفز في عدوه... وأبَزَ الانسان في عدوه استراح ثم مضى» | مقاييس اللغة لابن فارس 36/1 ل ع 5/مادة أبز |
| 6 – و– أبق | الهمزة والباء والقاف «يدل على أباق العبد، والتشدّد في الأمر» و «الأباق: هَرَبُ العبيد وذهابهم من غير خوف ولا كدّ عمل» | مقاييس اللغة لابن فارس 38/1 ل ع 10/مادة أبق |
| 6 – ز– أبل | الهمزة والباء واللام بناء يطلق على أصول ثلاثة «[ على ] الابل، وعلى الاجتزاء وعلى الثقل » «... وفي الحديث عن وهب: أبل آدم عليه السلام عن ابنه المقتول كذا وكذا عاما لا يصيب حواء أي امتنع من غشيانها...» | مقاييس اللغة لابن فارس 39/1 ل ع 11/أبل |
| 6 – ح – أبن | الهمزة والباء والنون: «يدل على الذِكر، وعلى العُقد، وقفو الشيء. الأُبن: العقد في الخشبة و«يقال ابنت الرجل إذا رميته بخلة سوء وهو مأخوذ من الأُبنَ وهو العقد...». | مقاييس اللغة 4/1 ل ع 1/أبن |
| 6 – ط – أبه | الهمزة والباء والهاء «يدل على النباهة والسمو [ يقال ] ما أبهتُ به.أي لم أعلم مكانه ولا أنست به. | مقاييس اللغة 44/1 |

هكذا يتح أن دلالات الكلمات الثمانية(العامة) المشتركة في الحرفين الأوليين (الهمزة والباء) تشترك في دلا لة المجال الذي هو التباعد والنفور أو ما يؤدي إلى ذلك، كما عبر عنه القنوجي في النص أعلاه. وهذه المعاني المتنوعة الألفاظ المتفقة في المعنى: هي اشتد الحر (6. ب) والتوحش (6.ج) والتّحس (6.د). والقلق (6.هـ) والتشدد في الأمر (6.و) والثقل (6 . ز) وقفو الشيء (6.ح) ونفي النباهة (6.ط). وهذا ما يؤكد أن الكلمات الثلاثية المشتركة في الحرفين الأولين تشترك في دلالة المجال. لكن الذي يلفت الانتباه هو أن ابن فارس وغيره من أصحاب المعاجم يستنتج المعاني من حروف الكلمة الثلاثة وهو ما تنص عليه عبارات ابن فارس في عرض معاني الكلمات الثمانية أعلاه فهل الأمر كذلك !

تتمة الصفحة:2

## ثانيا: الشروط الذاتية: وخلاصتها استقامة السائر:

يلاحظ الجمع بين استقامة الماشي واستقامة الطريق في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الملك: 22)، إن مثل الأول في عالم السياقة كمثل رجل مسافر مستهين بسائر العلامات معرض عنها غير ملتفت إليها، ولم يقف عند هذا الحد، بل ألصق وجهه بالمقود ولم يعد يرى من الطريق شيئا، إن أي أحد يرى هذا الشخص لن يتردد في اعتباره مسلوب العقل والحواس، ولذلك جاء عقيب هذه الآية قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (الملك: 23).

وهذه الحواس ضرورية جدا في السياقة، فالسمع يتيح الانتباه إلى المنبه الصوتي للسيارات، وإلى صفارة الشرطي وغيرها، وأما البصر فلا غنى عنه ألبتة في السياقة، وأما الفؤاد فإنما قيل له فؤاد لأنه اعتبر فيه معنى التفؤد أي التوقد، فالإنسان وهو مسافر يقود سيارته يكون في حاجة شديدة إلى حضور قوته المفكرة وإلى يقظة متوقدة.

وهكذا الإنسان في سيره إلى الدار الآخرة يحتاج إلى الاستماع بل إلى الإنصات: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأعراف: 204)، ويحتاج أيضا إلى إبصار: ﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾ (الأنعام: 104) قال الطاهر بن عاشور: "وبصائر جمع بصيرة، والبصيرة: العقل الّذي تظهر به المعاني والحقائق، كما أنّ البصر إدراك العين الّذي تتجلّى به الأجسام، وأطلقت البصائر على ما هو سبب فيها. وإسناد المجيء إلى البصائر استعارة للحصول في عقولهم، شبّه بمجيء شيء كان غائبا، تنويها بشأن ما حصل عندهم بأنه كالشيء الغائب المتوقّع مجيئه"(7).

ومن ثمرات هذا الكلام التنبيه على أثر آيات القرآن الكريم في القدرة العقلية للإنسان، وذلك أن اندماجه بنورها ينبه العقل ويحضره ويقوي بصيرته ويزيد في مداها، فتنكشف له حقائق الأشياء، ويستثمر مآلاتها وعواقبها ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق: 37)، ولذلك نفى الله تعالى العقل عمن لم ينتفع بالقرآن ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (الأنفال: 22).

إن القرآن الكريم بما احتواه من نظم إيمانية واجتماعية واقتصادية وسياسية وتربوية وغيرها يهدف إلى إقامة حياة الإنسان على هيئة من الاستواء، وبهذا نفهم عمق دلالة العدل الذي أمر الله تعالى به في قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ (النحل: 90).

والعدل لفظ يقتضي معنى المساواة، وقد أخرج الإمام البخاري وغيره عن ابن مسعود أن هذه الآية أجمع آية للخير والشر، فقد جمعت أصول الشريعة في الأمر بثلاثة والنهي عن ثلاثة... وألف الشيخ عز الدين بن عبد السلام كتابا سماه الشجرة بيّن فيه أن هذه الآية اشتملت على جميع الأحكام الشرعية في سائر الأبواب الفقهية.

وهكذا نخلص من تلك النصوص إلى شروط متكاملة تحقق السير السليم الموصل إلى الهدف الأعظم الذي هو رضوان الله تعالى في دار القرار بأمان وسلام.

وقد عرضت على الإنسان بغاية الوضوح ليتحمل مسؤوليته كاملة ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: 152).

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

---

1 – أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل.
2 – فتح الباري لابن حجر11/ 238.
3 – نفسه.
4 – مفردات القرآن للراغب/ قلب.
5 – أخرجه ابن ماجه في المقدمة باب باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين.
6 – مفردات القرآن للراغب/ أي.
7 – (التحرير والتنوير 5/ 67).

مسافات

# ومعه الثاني .....

دة . ليلى لعوير

طبائع الناس ستائر مخفي وراءها كثير مما لم تكن تتوقّعه ، أو تحسب له حساب.

لا سيما إذا كان المقرّب أخا أو صديقا أو واحدا، ممن جمّل لك المقام بمعسول الكلام، أو جمعتك به ذكريات نسميها بلفظ العامّة "العشرة" ثم سرعان ما دار عليك، فدارت معه الأيام نحو ما يعتقد أنه أهداك فيه الأسوء.

وهكذا الحياة تخطئ فيها، ويخطئ غيرك ولا عصمة في الوجود إلا لله ﷻ ومع هذا كثير من الناس يتجاوز هذه الثنائية، ويغرق في تضخيم الأنا وإشباعها بالغرور كأنه وحده مالك الدنيا، وهو في الحقيقة لا يملك نفسه، أهلكنا هذا التضخم حدّ الموت، موت المشاعر والعلاقات والإحساس ببعضنا، ولبسنا جميعا بلا استثناء عباءة القانون الذي لا يطبّق إلا على الضعفاء.

سنة الأكوان أن يجري القانون العاتي على المستضعفين في الأرض، وسنة الأكوان أيضا أنّ المستضعفين هم من ينتصرون في الأخير، لأنّ النيات جسور قصاص تنشر ألواحها في لحظة انتشاءة العابرين ويقينهم بأنّهم المالكون لكل شيء ولا أحد غيرهم.

يا الله في عوالم يصنعها الإحساس بالمركزية الإنسانية، فتطفو على السطح مشاهد أقسى من الموت وسلوكات ترابية تسقط معها كل علامات التميّز، كورق التوت لتعرّي داخلا لم يكن يحسن سوى تصنّع الأجمل، قد أكون أنا قد يكون غيري، قد نكون جميعا من سقطت علاماته التي لن يحملها من الأرض إلا في وضات التسامي التي تجعلك تدرك في القرارات أنّك لست وحدك، وإنما معك الثاني الذي يصنعك والذي أسّس وجودك.

معك الذكريات التي تجترّها في كل لحظة كي تصحّح نفسك أو تمنحها مشروعية قرار اتخذته وقد لبسك الشك في أنّك مخطئ.

معك الثانية والدقيقة والساعة والزمن الماضي بكل تداعياته السيّئة والجميلة، القاسية والرحيمة.

معك صرخات الداخل الذي لا يسمعه إلا أنت، ولا يلعب على تفاصيله إلا مخيالك أو ضميرك الذي يجري في عوالم الناس بالشك أو باليقين، بالترك أو بكثرة الاهتمام، بالصلة أو بالقطع، بالعدل أو بالتّجنّي على كل جميل لم تجده في لحظة عابرة فيك.

معك الضعف المفروض أو القوة المتصنّعة.

معك الريح والعواصف، والشموس والأقمار ونجوم أخرى هي كالسهيل تظهر ولا تجاري غيرها.

معك الخطوات المحوّة والمرسومة والثابتة و المستشرفة.

معك ومعك ومعك ... ومع المعيّة هواجس التنصّل منها لو تستطيع، أو الزيادة في التشبث بها إن كانت ريحك طين.

الذكريات معاش العبد نهارا وهي لباسه بالليل تلازمه كظلّه ولا ينفك عنها ولذا مهما خاتلت فإن معك الثاني الذي لا يخلفك وإن نسيته ذكّرك غيرك به.

فتحرى ان تكون ذكرياتك بانية للحس الراقي فيك، فإن صورة الجحيم التي ستزرعها في عوالم المحيطين بك ستستيقظ ولو بعد حين، ولو تغيرت الأمكنة لأنّ الزمن الماضي لصيق، لصيق ، لصيق فتحركي أيتها الأزمنة ، ما شئت فإنّ الثاني بك محيط.

## إصدارات

في إطار إصداراتها العلمية المتخصصة أصدرت الرابطة المحمدية للعلماء بالمملكة المغربية مجلة علمية حولية محكمة جديدة موسومة: "لسان المحدث" تعنى بنشر البحوث والدراسات المتخصصة في الحديث النبوي الشريف وعلومه.

وقد جاء في افتتاحية العدد إن المجلة تأتي في سياق سد الخصاص في العناية بالحديث النبوي الشريف وعلومه وخدمة السنة النبوية "فإيمانا بأهمية مواصلة المسير في العناية بهذا العلم الشريف، وإدراكا لدوره المحوري في بناء العلوم الشرعية، وتعريفا بمكامن التأسي، ومعالم الاقتداء والاهتداء في السنة النبوية الشريفة، وحرصا على توفير الأوعية الحاضنة لنشر الدراسات العلمية الرصينة في مجال الحديث النبوي الشريف، ارتأت الرابطة المحمدية للعلماء – كما يقول الدكتورأحمد عبادي الأمين العام للرابطة – إصدار هذه المجلة؛ لتكون لسانا ناطقا باسم علماء الحديث، ومُعربا عن عناية المغاربة بالحديث النبوي قديما وحديثا.

ويشمل هذا العدد الذي يعتبر باكورة أعداد هذه المجلة الفتية، ستة بحوث قيمة تتناول في مجملها بالدرس والتحليل موضوعات تتصل بأشهر الدواوين الحديثية التي اعتمدها المغاربة وهي الموطأ وصحيح البخاري وصحيح مسلم.

وضة

# قبر الدنيا

اقتنى شقة صغيرة.. دفع نصف قيمتها للشركة.. وهو ما ادخره عمره كله.. اطلع على موقعها وتصميها أقنع نفسه أنه سيتخلص من كابوس أداء إيجار البيت...

اقتصد في نفقاته إلى الحد الأدنى... اقترض من معارفه ليكمل القسط الثاني للشقة...

تسلم شقته بعد عامين تقريبا... شقة صغيرة ذات واجهتين تعانقها أشعة الشمس... لا تتعدى مساحتها سبعة وأربعين مترا... هدأت زوجه من روعه قالت: " الاتساع في القلب!"

تعارك صغاره الأربعة في رقعة تحاصرها الجدران من كل جانب... ما زالت العمارة بطوابقها السبعة شبه فارغة... يتقاطر الجيران الجدد تباعا إلى شققهم...ويبدأ الطوفان...

تتسرب المياه العادمة من مرحاض الجيران بالطابق العلوي.. يهوي السقف ومعه حوض الحمام..

يهرول إلى جاره ليصلح حمامه.. هرج ومرج في العمارة، فكل الجيران حدث لهم المشكل نفسه... حاولوا إصلاح المواسير وقنوات الصرف، اكتشفوا أنها موضوعة في أماكنها فقط دون الوصل بينها ووصلها بقنوات الصرف الصحي...

توجهوا نحو الشركة لمطالبتها بالوفاء بالتزاماتها وإصلاح الأعطاب... وعدهم المسؤولون خيرا... انتظروا طويلا، ولم تف بوعدها... عادوا إليها ثانية.. استقبلهم مديرها وقال لهم باقتضاب: " لقد انتهت المدة القانونية، والشركة غير مسؤولة عن أي خلل... حينما تسلمتم شققكم، وقعتم على وثيقة تقرون فيها أنكم عاينتم صلاحية شققكم .. وليست لديكم حينها أي ملاحظة".

صاحوا محتجين: "وكيف كنا سنكتشف الغش في البناء وفي قنوات الماء والصرف الصحي قبل أن نسكن فيها؟!"، لكن المدير كان قد انصرف غير آبه بهم.. وحراسه الخاصون يطردونهم شر طردة.

تتسرب مياه الأمطار إلى شقته، تزيد الطين بلة.. تمتزج والمياه العادمة.. يتبلل الأثاث والملابس والكتب.. تتعطل أجهزة كهربائية.. تصبح الجدران مصدر خطر.. كل من يلمسها يصعقه الكهرباء.. تنبعث رائحة كريهة من الشقة والعمارة كلها.. تصاب الأسرة بحساسية شديدة... يؤرقها التساؤل عن صحة صلاتهم تحت وبين المياه العادمة المتسربة من السقف والأرضية والجدران... تستحيل الحياة في هذا القبر المقزز.. أصبحت كئيبة مقززة.. يعرضه للبيع بثمن بخس.. لكن من يقتني زنزانة نتنة؟!

ذة. نبيلة عزوزي

# قوانين الفاعلية والتأثير

أدرك الناس زماناً كان للكلمة المكتوبة أو المسموعة فيه أثرها ووقعها على النفس؛ فكانت الدموع تنسكب، والقلوب تتحرق، والجوارح تتحرك؛ امتثالاً للخير والحق: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ (الأنفال: 2)،.. حتى بلغ التفاعل مبلغاً كبيراً عند إخواننا المهتدين الجدد: ﴿تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ (المائدة: 83).

– وصل الأمر بنا اليوم إلى حالة من الجمود والجفاف أو الجفاء والتبلد؛ لدرجة أننا نرى ونسمع ما يدمي القلوب من سفك للدماء، وهتك للأعراض، واستباحة للمقدسات، ونهب للثروات والمقدرات، واعتداء وظلم وقهر وبطش، واعتقال للأشراف والنبلاء... ويكتب من يكتب ويخطب من يخطب مستثيراً عزيمتنا... ومحركاً مواتنا... ولكن يصدق في بعضنا قول الله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (الفرقان: 44)...

– ليس الحديث هنا عن الكلمات المسموعة والمقروءة فحسب بل عن المواقف والأفعال التي تشهد لأصحابها وتؤثر فيمن حولهم ومن بعدهم.

بالاستقراء والمتابعة ثبت أن هنالك قواعد،وأصولا، بل قوانين راسخة للتأثير وتحقيق الفاعلية لدى الآخرين لما نكتب ونقول ونفعل... وأقصد بالفاعلية؛ تلك الشحنة الدافقة التي تحمل السامعين أو القارئين والمتابعين لنا ينتقون أطيب الكلام والمواقف... ويترجمونها مباشرة إلى عمل؛ فهم يتحولون من دائرة الإدراك إلى دائرة الحراك دون تريث ولا تلكؤ ولا إرجاء... وفيهم يصدق قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ (الزمر: 18).

ومن تلك القواعد والقوانين:

1 – التأثر قبل التأثير، والتعلم قبل التكلم .. حتى لا يكون وعظك مما يحتاج إلى وعظ.

2 – كن مخلصاً صادقاً .. لتربح قبول خالق وخالقهم وإن خسرت بعض إجابتهم.

3 – كن محباً مشفقاً .. لتكسب قلوبهم وإن تأخرت عنك عقولهم.

4 – كن حسن الإصغاء لتكون حسن الإلقاء .. فالناس تحب من يسمعهم قبل أن يُسمعهم.

5 – تأكد من فتح أجهزة استقبالهم، قبل أن ترسل لهم رسالتك الواضحة، من جهاز إرسالك الفاعل.

6 – تحدث بلغة يفهمونها .. لا بسلاسة العبارات فحسب؛ بل بانتقاء مفردات (مشروعة) يتداولونها.

7 – تناول شيئاً من آلامهم، وارسم لهم طريق تحقيق آمالهم.

8 – برهن لهم على استطاعتهم وقدرتهم؛ إن توفرت إرادتهم وعزيمتهم .. بضرب أمثلة من نجاحاتهم ونجاحات أمثالهم.

9. كن قدوة وأنموذجاً في التعفف عن الحرام والشجاعة عند كل مقام؛ ليكون وعظك بالفعال لا بمجرد الكلام.

10 – كن مداعباً بساماً متفائلاً .. لتكسر ما بينك وبينهم من حواجز وركام.

11 كن مبدعاً في ضرب الأمثلة والمقايسات واستحضار الشواهد والقصص المناسبة .. لتكون مقنعاً بالدليل والحجة والبرهان.

12 – كن عميقاً حكيماً تعالج الأمراض لا الأعراض .. ولا تشغلك الأعراض عن الأمراض.

13 – كن بعيد النظر واسع الخيال، في التحصين من علل قادمة .. وأنت تتعامل مع علل قائمة.

14 – تذكر أن قيمة (تعظيم الله) هي أمُّ القيم، وبلوغها يعني بلوغ أعلى القمم .. فاحرص على زرعها بذكاء في كل خطبة وموعظة وبيان وتغريدة وموقف.

15 – تأكد أن مواقفك وكلماتك (الطيبة) تؤتي أكلها (كل) حين .. وإن رأيت (بعض) ثمراتها (بعد) حين .. بإذن ربها.

16 – كن مراوحاً بين التطويل والتوسط والاختيار والاختزال .. ولكل مقام مقال .. ففي التغريدة والبوست اختزال .. وفي الخطبة والموعظة اختصار .. وفي الدرس والمقال توسط .. وفي التدريب والتأليف تطويل.

17 – كن حريصاً على إجابة أسئلة الناس في زمانك ومكانك .. واعياً لما يدور من شبهات في خلد من يتابعك.

18 – لا تكن مصادماً ولا منبطحاً عند طرح ما تراه صواباً، في مقابل ما يراه الآخرون صوابا.

19 – كن شاكراً مادحاً كل جميل تسمع به أو تراه .. مثلما أنك تعترض وتعتب على كل قبيح تسمع به أو تراه.

20 – كن جريئاً في الاعتذار عن خطئك، بقدر جرأتك في الصدع بصوابك.

21 – كن مطمئناً على رزقك وحياتك .. لينشرح صدرك وينطلق لسانك .. فلن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها.

22 – كن شغوفاً بالبحث عن كل جديد مفيد .. ليرى مَن حولك أنك متجدد تسعى للإبداع (النافع) وتكره التقليد.

23 – كن حريصاً على نسبة الفضل لأهله، وردّ المعلومة أو الخبرة والفكرة لأصحابها .. وفي ذلك تمكين لقيمة الاحترام، وقيمة الشكر بأسلوب تلقائي لطيف.

24 – كن نظيفاً مرتباً دقيقاً منضبطاً .. ليأخذ الناس عنك السمت .. وتحملهم على تلك العادات الطيبة بصمت.

25 – كن متسامحاً كريماً .. تنسى ما فات من زلات .. وتحفظ للطيبين الحسنات.

26 – كن مراعياً للفروق الفردية بين الناس .. بل بين الواحد منهم .. فالمرء الواحد تختلف استجاباته باختلاف ظروفه وأحواله.

27 – كن صبوراً .. متدرجاً .. فما فسد في دهر (قد) لا يصلحه عمل يوم ولا أسبوع ولا شهر.

28 – كن جمعيَّ الخطى مع جموع (الطيبين) .. فريديَّ السبق لهم في أشرف الميادين .. ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النساء: 84).

29 – كن حريصاً على اختيار الأحسن من بين الحسن من الأقوال والأفعال .. وهذا يقتضي منك التريث والاستخارة وعدم الاستعجال.

30 – كن سخياً كريماً تعطي من مالك ووقتك وجهدك .. فالعين تأكل، والبطن يأكل، والعقل يأكل .. والنفس تقنع بعد أن تشبع.

31 – كن حذراً من الاستفزاز الذي يفقدك توازنك .. ويخرج أسوأ ما فيك ويحرجك.

32 – كن حريصاً على نقل المنهجية والأسلوب، أكثر من حرصك على نقل المعلومة والمعرفة .. ليتخرج من بين يديك للأمة معلمين مبلغين .. لا مجرد حافظين أو حتى فاهمين.

33 – كن حريصاً على (إتقان) ما استطعت من اللغات (لغة الجسد ولغة الإشارة ولغة الأقوياء ولغة الأدوات والقنوات والتقنيات الحديثة) .. لأن اللغة هي مفتاح البيان والتبيين.

وختاما:

تبقى النصائح مجرد كلمات .. ما لم يتمثلها أصحاب العزائم في شتى المجالات .. والمعوَّل في تحقيق ذلك كله على الله تعالى، فهو وحده من نعبده ونستعين به في عبادتنا ودعوتنا وتربيتنا وسائر اجتهاداتنا .. وإلا فإنه:

**إذا لم يكن عون من الله للفتى**

**فأول ما يجني عليه اجتهاده**

**محمد سعيد بكر**

بنبض القلب

**ذ . أحمد الأشهب**

# أمطر يامن يتلو سورة الحشر

في زمن استأسدت فيه القرود، وانبطحت الزعامات أمام صولة اليهود... آن الأوان أن تزحف هذه الحشود... بنو قريضة عادوا، وعادت بنو النظير، تنفض غبار الذل من بعد ما قذف الله في قلوبهم الرعب، وخُرِّبت بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين... عادوا من شتاتهم فما وجدوا سعدا(1) ينزل فيهم حكم الله ويوقد فينا جذوة الشرر... عادوا بعد أن أخرجهم رب العزة من ديارهم لأول الحشر، حيث لم تمنعهم حصونهم وسيوفهم من بطشة القدر... في هذا الزمن الأغبر، ما أحوج الأمة لريح سورة الحشر، من قلب غزة الأبية ستعلو رايات النصر... وفي زمن من الهرولة ينتفض دم الشهداء في وجه كل أشكال القهر... فأمطر يا من يتلو علينا سورة الحشر... أمطر واسق بيداء العرب وأحْيِ موات هذا القَفْر... يا فتيان غزة، يا من يصلَون في حقول الألغام... يا من أشرقت شمسهم من خلف كثبان الظلام... لا تنتظروا من عرب الخزي سوى تطريز الكلام... لا تنتظروا منهم سوى قصائد الغرام... تتغزل فيها الحناجر بسحر أمريكا وكل أولاد اللئام... لا تتساءلوا عن سبب الخيانة والبهدلة... لا تتساءلوا فَهُم وصمة العار في جبين هذه المرحلة... كتموا أنفاس الشعب ومنعوه من حق المسألة... وأكلوا مال الفقير وهضموا حق الأرملة... جعلوا مال الله دولة بين الأغنياء منهم، وشدُّوا به عضُد القتلة... فلننتظر يوما كيوم الحشر يكتم أنفاسهم المتقطعة... سقطت جميع الأقنعة، وانكشفت أمام الخلائق سوأتهم.... رأينا ما وراء الجعجعة.... فاسْتَعِر أيها الوطن المحاصر بالشطط... استعر من خليج النفط إلى محيط القحط... استعر بحق سورة الحشر، ومن علَّمنا سورة الحشر(2)... استعر ولا تخش في الله صولة القهر... استعر فإنه لا يستوي أصحاب الجنة ومن يلفح وجوههم حر الجمر... فإن للأقصى رب -يحميه- جليل القدر... مهيمن عزيز جبار متكبر، تعالى الله عن كل أمر...له الأسماء الحسنى، يسبح له ما في البر وما في البحر...

والصلاة والسلام على الرحمة المهداة محمد خير البشر.

---

1 – سعد بن معاذ رضي الله عنه.

2 – النبي ﷺ.


## قسيمة الاشتراك

الاسم الكامل : .....

العنوان الكامل : .....

الاشتراك السنوي : 20 عددا

■ داخل المغرب : 100 درهم

■ خارج المغرب : 30 أورو أو ما يعادلها

ترسل الاشتراكات باسم :

● جريدة المحجة عن طريق الحوالة البريدية

● أو جريدة المحجة على حساب وكالة البنك الشعبي (الموحدين فاس)

رقم : 21111134129000014

أما قسيمة الاشتراك والوصل فيبعثان إلى مقر الجريدة على العنوان التالي:

جريدة المحجة حي عز الله، زنقة 2، رقم 3، الدكارات،

فاس – المغرب

# سعد الدين العثماني: يعلن حزمة إجراءات لرد الاعتبار للمدرسة المغربية

أعلن رئيس الحكومة سعد الدين العثماني، يوم الاثنين 2018/07/23 بالرباط، أن الحكومة عازمة على اتخاذ كافة التدابير والإجراءات اللازمة للإعداد المبكر للدخول المدرسي والجامعي والتكويني المقبل، وذلك على مختلف المستويات التي يتطلبها حسن تدبير هذه العملية، سواء فيما يتعلق بتأهيل بنيات الاستقبال وتعزيز الموارد البشرية أو بتطوير الجوانب البيداغوجية أو تحسين الدعم الاجتماعي.

وذكر بأن الحكومة جعلت من النهوض بالمنظومة الوطنية للتربية والتكوين أحد أولوياتها، من خلال التنزيل الفعلي والعملي والمتجانس للرؤية الاستراتيجية لإصلاح منظومة التربية والتكوين والبحث العلمي 2015-2030 "من أجل إرساء مدرسة الإنصاف والجودة والارتقاء"، وأوضح أنه على مستوى قطاع التربية الوطنية تعمل الحكومة على تنزيل جملة من الأولويات التي أدرجتها في مخططها التنفيذي للفترة 2017-2021، والتي من شأنها رد الاعتبار للمدرسة المغربية العمومية حيث تندرج هذه الأولويات والإجراءات في 24 إجراء موزعة على ثلاث محاور وهي:

- تحقيق الإنصاف وتكافؤ الفرص في ولوج التربية والتكوين (9 إجراءات)،
- وتطوير النموذج البيداغوجي وتحسين جودة التربية والتكوين (8 إجراءات)،
- وتحسين حكامة منظومة التربية والتكوين وتحقيق التعبئة المجتمعية حول الإصلاح (7 إجراءات).

# التنديد بإعلان مسابقة كاريكاتورية تجسد رسول الإسلام محمد

أدانت منظمة التعاون الإسلامي، بشدة الإعلان عن مسابقة دولية لرسوم كاريكاتورية تجسد رسول الإسلام محمد بن عبدالله (ص)، أعلن عنها النائب الهولندي المتطرف خيرت فيلدرز، لتقام نهاية 2018.

ودعا أمين عام المنظمة يوسف بن أحمد العثيمين، في بيان له، إلى وضع أدوات قانونية ملزمة دوليا لمنع التحريض والعنصرية والتمييز والكراهية الدينية.

وأعرب العثيمين، عن قلقه البالغ "لهذه المسابقة الاستفزازية، التي تثير مزيدا من التحريض وتزرع بذور الكراهية بين مختلف أتباع الديان".

وأضاف أن "حرية التعبير لا تعني تجريح مشاعر الآخرين بما يتعارض مع المبدأ العالمي لاحترام الأديان".

جدير بالذكر أن فيلدرز، يرأس حزب الحرية اليميني المتطرف، المعروف بعدائه للإسلام والمسلمين، وسبق أن دعا إلى منع وصول المهاجرين المسلمين إلى بلاده، وإغلاق المساجد ومنع بنائها، ووصف القرآن الكريم بـ"الكتاب الفاشي".

# الأبناك الإسلامية تكسب ثقة المستهلك المغربي وتحقق رقم معاملات غير متوقع

يبدو أن الأبناك الإسلامية، أو التشاركية كما سماها المشرع المغربي، في طريقها لتصبح فاعلا ماليا مهما في القطاع الاقتصادي بعد الثقة التي حظيت بها من طرف المستهلك المغربي الذي كان ينتظر منذ سنوات هذه الصيغة البنكية الجديدة. وحسب ما أفاد به تقرير صادر عن بنك المغرب، فإن عدد الحسابات البنكية التي فتحت لدى البنوك التشاركية الخمسة المرخص لها بالمغرب بلغ 43 ألف حساب نهاية يونيو، وبلغ حجم الأموال المودعة في هذه الحسابات 1،1 مليار درهم.

# الموافقة على إنشاء مسجد ومركز ثقافي بأيرلند

وافَق مجلسُ مقاطعة "فينغال" بدولة "أيرلندا" على إنشاء مسجد ومركز ثقافي بمدينة "سيوفورد".

وكان مجلس المقاطعة قد أقام تصويتًا للموافقة على إنشاء المسجد والمركز الثقافي الإسلامي، وصوَّت المجلسُ بأغلبية الثُّلُثين للموافقة على الإنشاء.

يُذكَر أن أعضاء الجالية الإسلامية في "سيوفورد" قد سَعَوْا إلى الحصول على إذنٍ لبناء مسجد للصلاة، ومركزٍ ثقافي إسلاميٍ بالمدينة.

# تحذير من تنامي مظاهر التطبيع والتنصير بالمغرب

حذر المركز المغربي للدراسات والأبحاث المعاصرة من تنامي مظاهر التطبيع والتنصير وبعض التحديات التي تعتري نظاميْ الأسرة والأخلاق العامة في البلاد.

جاء ذلك في تقرير الحالة الدينية في المغرب عن عامي 2016 و2017، تم تقديمه بندوة أمس الاثنين في العاصمة الرباط، من طرف رئيس المركز محمد الهيلالي.

# منظمة الهجرة الدولية: لاجئو الروهنجيا أتعس أهل الأرض

وصفت منظمة الهجرة الدولية، لاجئي الروهنجيا في بنجلاديش بأنهم "أتعس أهل الأرض"

وفي بيان من دكا قال المدير العام للمنظمة، وليام لاسي سوينج، إن لاجئي الروهنجيا يواجهون تهديدا ثلاثيا يتعلق بظروف الطقس القاسية، ونقص التمويل، والمستقبل المجهول الذي ينتظرهم، مؤكدًا على أنه "من الضروري أن يظل العالم يركز على هذه الأزمة".

وأضاف: "عدم القيام بذلك سيكون له نتائج مأساوية على ما يقرب من مليون لاجئ من الروهنجيا في بنغلاديش".

وقال سوينج، إن "الروهنجيا في (منطقة) كوكس بازار (في بنجلاديش) باتوا عرضة ليصبحوا أتعس أهل الأرض، فهم بلا مأوى وبدون مستقبل" مضيفًا: "يجب على العالم التوحد لدعمهم".

# أردوغان: إسرائيل فاشية وروح هتلر تعود للظهور

قال الرئيس التركي رجب طيب إردوغان يوم الثلاثاء 24 يوليوز 2018 إن القانون الإسرائيلي الذي ينص على أن اليهود فقط لهم حق تقرير المصير يضفي شرعية على القمع ويظهر أن إسرائيل دولة فاشية وعنصرية.

وأضاف أيضا في كلمة أمام نواب حزب العدالة والتنمية الحاكم إن إسرائيل أظهرت نفسها "كدولة إرهاب" بهجومها على الفلسطينيين بالدبابات والمدفعية وأن روح هتلر عاودت الظهور بين بعض الإداريين الإسرائيليين.

## لآلئ وأصداف

يلتقطها أ.د. الحسن الأمراني

# محمد إقبال.. وفلسطين.. والحب (3)

رأيت أن أخص ترجمة شعر إقبال إلى العربية بكلمة، وذلك أمر يفرضه الحديث عن قصيدته التي كتبها في فلسطين، ثم إن من شأن النظر في النص الأصلي أن يدلنا على بعض علاقة محمد إقبال بالشعر العربي والاستفادة منه.

يضم ديوان محمد إقبال، المنشور في مدينة عليكره بالهند عام 1984، باسم (كليات إقبال)، دواوين الشاعر المكتوبة بالأوردو، ومنها ديوان: (بال جبريل)، أي: (جناح جبريل)، ومن قصائده قصيدة عنوانها (شوق وذوق)، بهذا اللفظ العربي، وهي القصيدة التي كتبها في بلاد العرب، وفي فلسطين بالذات، يوم زارها لحضور مؤتمر فلسطين، كما ألمعنا فيما سبق. وهذا الديوان يثير قضية ترجمة شعر محمد إقبال إلى العربية، إذ لا يستقيم أبدا أن يظل شعر إقبال، الأوردوي والفارسي على السواء، دون ترجمة كاملة إلى اللغة العربية، وهو أكبر شاعر إسلامي في القرن العشرين. لقد تولى الدكتور عبد الوهاب عزام ترجمة بعض دواوين محمد إقبال - الأوردية والفارسية - إلى العربية، وهي ترجمة أثنى عليها الشيخ أبو الحسن الندوي، حيث إنني سألته يوما عن ترجمة شعر إقبال التي يمكن أن أركن إليها، فقال دون تردد: ترجمة الدكتور عزام.

وبقيتْ دواوين أخرى لم تترجم إلا حديث جدا، ومنها ديوانه الأول: (بانك درا)، أي: "صلصلة الجرس"، وقد ترجم الشيخ صاوي شعلان المصري ثلاث قصائد منه ، وهي قصيدتا "شكوى" و"جواب شكوى"، وهي ترجمة بديعة، بالإضافة إلى قصيدته: "النشيد الإسلامي" التي كنا نحفظها صغارا، وبدايتها:

الصين لنا، والعرب لنـــا والهند لنا، والكل لنـــا

أضحى الإسلام لنا دينا وجميع الكون لنا وطنـا

وأنا لا أتقن الأوردية، ولكن ما أظن هذه الترجمة كانت موفقة كالسابقتين، ذلك بأنني أنشدت هذين البيتين يوما أمام الأستاذ عبد النور الندوي رحمه الله، فما كان منه إلا أن انطلق ضاحكا وهو يقول: "لم يبق من بلاغة شعر إقبال شيء".

ولقد أعدّ الأستاذ سيد عبد الماجد الغوري الأعمال الكاملة للشاعر في كتاب سماه (ديوان محمد إقبال)، معتمدا على الترجمات التي وصلت إليه، منها ترجمات عزام والصاوي شعلان، ومنها ما ترجم عبر لغات وسيطة إلى العربية. وأكثر الشعر المكتوب بالأوردو ترجم بلغة وسيطة. لقد بقي ديوان (صلصلة الجرس) مثلا ينتظر من يترجمه كاملا. وأما ديوان (جناح جبريل)، فقد نقله من الأوردوية إلى الفرنسية نثرا كل من السيد ميرزا سعيد ظفر شاغتي، والسيدة سوزانبوساك، ثم نقله من الفرنسية إلى العربية نثرا الأستاذ عبد المعين الملّوحي، ثم صاغه بالعربية شعرا الأستاذ زهير ظاظا. وللقارئ أن يتصور ما الذي سيبقى من إقبال بعد هذه الرحلة من الترجمات. هذا وقد ترجم بعض قصائد هذا الديوان نثرا الشيخ أبو الحسن الندوي في كتابه: "روائع إقبال"، فكانت ترجمته رائقة عرّفت بالشاعر عددا كبيرا ممن لم يقرأ له من قبل، يدل على ذلك الطبعات المتعددة لكتاب: "روائع إقبال". ولذلك كان عملا موفقا ما قام به الأستاذ الدكتور حازم محفوظ، المتخصص في الدراسات الشرقية، وهو أنه ترجم كل دواوين محمد إقبال من الأوردية مباشرة إلى العربية، واختار أن تكون ترجمته نثرا، لكي يكون أكثر تحررا، وسمى الكتاب: (الأعمال الكاملة لشاعر الإسلام محمد إقبال: رنين الجرس، وجناح جبريل، وضرب الكليم، وهدية الحجاز).

على أن الترجمة ليست عملا هينا بحال، وتحتاج من المترجم إلى أن يكون يقظا فطنا إلى خصائص الشاعر وهو يترجم، فنحن إذا نظرنا إلى عناوين دواوين إقبال الأصلية، الأوردية منها والفارسية، نلاحظ أن الشاعر يستوحي عناوينها من ألفاظ الوحي، قرآنا وحديثا. ولذلك كانت ترجمة محفوظ لديوان محمد إقبال "بانك درا" بلفظ: (رنين الجرس)، ترجمة غير موفقة. فرنين الجرس لا يحيلنا على شيء من ألفاظ الوحي، ولذلك كانت ترجمة الشيخ الصاوي شعلان أكثر توفيقا عندما اختار عنوانا للديوان: "صلصلة الجرس"، إذ تحيلنا هذا العبارة على ما كان يصاحب الوحي، عندما يتنزل على رسول الله ﷺ، من حالات. ففي الحديث الشريف: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ قَالَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رضي الله عنه سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ».

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا. (رواه البخاري).

فعلى هذا يكون لفظ (صلصلة الجرس) أمثل عنواناً وأقرب إلى الأصل من لفظ: (رنين الجرس).

وللحديث صلة إن شاء الله تعالى

## إلى أن نلتقي

# وفاة عالم الصين الشيخ دونغ قوان عبدالله وأهمية التربية الروحية في صناعة الأجيال

توفي يوم الاثنين 16 يوليوز 2018 م عالم الصين الشيخ دونغ قوان عبدالله إمام جامع دنقوان في مدينة شيننغ شمال غرب الصين، عن عمر ناهز الثلاث والثمانين عاماً قضاها منقطعا في تعليم أمور الدين لمسلمي منطقته.

وصلى عليه -صلاة الجنازة بعد ظهر الثلاثاء 17 يوليوز، في جامع دونغ قوان ثم شيَّع جنازته- أكثر من 300 ألف مسلم. وقد تداولت وسائل التواصل الاجتماعي شريطا مسجلا لوقائع خروج الجنازة من المسجد، يُظهر جموع المشيعين بألوفهم المؤلفَة في منظر مهيب مؤثر.

ولقد درَّس الشيخ العديد من كتب التراث الإسلامية، ومن أشهرها إحياء علوم الدين للغزالي رحمه الله، وختمه عشرات المرات، وكذلك العقائد النسفية في عقيدة أهل السُّنة والجماعة، ورد المحتار في الفقه الحنفي، ومكتوبات الإمام الرباني في التصوف الإسلامي للإمام أحمد سرهندي، والطريقة المحمدية للإمام البركوي، وشرح ملا جامي (الفوائد الضيائية) على متن ال افية في النحو لابن الحاجب المالكي، ومختصر المعاني للتفتازاني في البلاغة، وغيرها من الكتب العربية الإسلامية.

أفنى الفقيد عمره في نشر العلوم الإسلامية، وخرَّج الآلاف من العلماء والأئمة، وكان يقضي طوال النهار في التدريس والتعليم لا يفرِّق بين الصيف والشتاء، ولا يفارق المسجد، فهو مسكنه ومدرسته، ومن ثَم كان مسجده قبلة للمسلمين والمتعلمين في الصين.

ومن لطيف مجاهدته في هذا المجال أنه كان يعمل صيانة الساعات بالنهار ويدرس العلوم الإسلامية في الليل، وفي عام 1421هـ/ 2001م حج بيت الله الحرام، وبعد رجوعه من الحج ذهب إلى المسجد واستأنف الدروس مباشرة قبل ذهابه إلى بيت أهله..

هذه قصة إمام الصين، لم أسمع به من قبل -ربما ككثير من غيري من الأعزاء القراء-. وبذلك لا أعرف عنه الكثير، إلا ما اطلعت عليه في وسائل الإعلام مؤخرا. وأحسب أنه ليس من المجدي في شيء التفكير أو السؤال عن مذهبه أو اتجاهه، ولكن المهم كيف يكون له مِثل هذا العدد من الأتباع والمحبين الذين حضروا الصلاة على جثمانه وتشييع جنازته، رغم ظروف الحياة اليومية المعاصرة التي تتميز بضغط الحياة وضيق الوقت، وفي الصين بالذات... بدون شك أنه كان يتميز بصفاء الروح ونقاء السريرة وأنه كان يجعل عمله خالصا لوجه الله.

ولقد ذكَّرني المشهد المهيب للجنازة ببعض ما حدث في تاريخ حضارتنا حينما كان للعلماء المكانة الكبرى في المجتمع، ولدى الجميع بمن في ذلك الحُكَّام والوزراء وحتى الخلفاء. وبما أن المقام يتعلق بالجنائز فيمكن الإشارة إلى جنازة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله

ذكرت كتب الحديث والتراجم عددا من الروايات تقدِّر من حضر جنازته رحمه الله. وحزر من حضرها من الرجال ثمانمائة ألف، ومن النساء ستين ألف امرأة، ونظروا فيمن صلى العصر في مسجد الرُّصافة، فكانوا نيفًا وعشرين ألفًا.

وقال موسى بن هرون الحافظ: يقال إن أحمد لما مات مُسحت الأمكنة المبسوطة التي وقف الناس للصلاة عليها، فحُزر مقادير الناس بالمساحة على التقدير ستمائة ألف وأكثر، سوى ما كان في الأطراف والحوالي والسطوح والمواضع المتفرقة، أكثر من ألف ألف.

وفي رواية أخرى أن الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر بعث عشرين رجلاً فحزروا كم صلى على أحمد بن حنبل، فقدَّروا ألف ألف وثمانين ألفا، سوى من كان في السفن في الماء.

هكذا هم العلماء والدعاة إلى دين ربِّ العباد؛ هم مِلْح البَلَد، لا يَفْسُدون ولا يُفسِدون إذا غيْرُهم فَسَدَ، بل يُصلِحون في الأرض، ويصبرون على كل طارئ مُفسد لدين الناس أو لدنياهم، يربون الأجيال؛ شيبهم وشبابهم رجالهم ونساءهم، بإخلاص وتفان، مبتعدين عن كل ما يشوب الذات والسلوك والسيرة والأفعال، من انحراف خلقي، أو طمع في المال والجاه والمنصب ونحو ذلك من ملذات الدنيا. قليلٌ ما هم، وتلك سنة الله، لكن سيرة هؤلاء القليل ينبغي أن تكون زادًا للسالكين، ونورًا مضيئا للمريدين، بعد كتاب الله المبين، وسيرة نبي الله الأمين.

أ.د. عبد الرحيم الرحموني